

# السجل العلمي

## لمؤتمر الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي آثاره العلمية والدعوية

الجزء الثاني

الأربعاء والخميس  
٢٤-٢٣ ربيع الأول ١٤٤١



(٠١)

جهود العلامة عبد الرحمن السعدي في الرد على الفرق والمذاهب  
المنحرفة في العقيدة  
د. كمال عبد العال تمام عبد العال

الرعاية

مصرف الإنماء  
alinma bank

القطبي

أبواب المكتبة عن مدارك

سيكيم  
Sipchem  
EXCELLENCE everywhere

جهود العلامة عبد الرحمن السعدي  
في الرد على الفرق والمذاهب المنحرفة في  
العقيدة

د. كمال عبد العال تمام عبد العال

أستاذ العقيدة المساعد بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية  
بالأحساء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

## المقدمة

إن الحمد لله نحمدك، ونستعينك، ونستغفرك، ونعود بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فلقد قدم العلامة السعدي - رحمه الله - لهذه الأمة جهاداً علمياً مباركاً قائماً على الحجة والبرهان، وعلى تقرير العلم النافع، والعمل الصالح، والذب عن الدين؛ في تصديه للأفكار المخالفة لمذهب السلف، وردوده على كثير من الفرق الضالة، والمذاهب المنحرفة، ومقارعته للخصوم والمعاندين، ودحض شبهاهم التي يوردونها، وذلك بالأدلة النقلية والعقلية.

فقد استشعر العلامة السعدي - رحمه الله - خطورة الفرق المنحرفة، وما لها من آثار سلبية على المجتمع المسلم فناقش أهل الإلحاد والضلال وأبطل حجتهم. وتصدى للفلاسفة والجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرها من الطوائف التي ضلت في باب الصفات، وبين أنهم كلهم عدوا عن الصراط المستقيم، وألحدوا في صفات الله تعالى إذ لم يثبتوها لله عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه ..

وتناول العلامة السعدي أقوال القدرية والجبرية بالرد، فنقض شبهاهم، ورد عليها، وبين ضلالهم وبعدهم عن الصراط المستقيم.

وبين غلو الخوارج في الحكم على مرتکب الكبيرة، ومدى مخالفتهم للمذهب الحق، وأوضح أن ما استدلوا به من نصوص القرآن الكريم حجة عليهم لا لهم .

ولوضوح الفكر النقدي في مؤلفات العلامة السعدي قصدت دراسة جهوده في هذا الجانب المهم من علم العقيدة فجاء عنوان بحثي "جهود العلامة عبد الرحمن

السعدي في الرد على الفرق والمذاهب المنحرفة في العقيدة”.

### أسباب اختيار الموضوع :

إن من أهم ما دفعني للخوض في خضم هذا البحث ما يلي :

١- تبحر الشيخ عبدالرحمن السعدي في العلوم الشرعية على اختلاف أجناسها، وأنواعها، وأصنافها.

٢- وفراة تراث الشيخ عبدالرحمن السعدي في العقيدة، فقد خصها بمؤلفات عديدة تربو على عشرة مؤلفات.

٣- عنابة الشيخ السعدي - رحمة الله - بحفظ العقيدة والدفاع عنها، وكشف الأفكار المنحرفة وإبطالها، وبيان زيفها، وبعدها عن المنهج القوي .

### مشكلة البحث :

وتكون مشكلة في السؤال الرئيس التالي: ما موقف العلامة السعدي من الفرق والمذاهب المعاصرة التي انحرفت في مسائل العقيدة؟ ويترفرع من هذا السؤال الأسئلة الفرعية التالية:

١- كيف أبطل العلامة السعدي ضلالات الملحدين؟

٢- ما أهم جهوده في الرد على العصرانية؟

٣- ما أهم الانحرافات التي أبطلها العلامة السعدي عند الجهمية؟

٤- هل ذكر العلامة السعدي سبب انحراف القدرية في باب القدر؟

٥- ما الوسائل التي استخدمها - رحمة الله - في مواجهة أفكار الخوارج؟

### حدود البحث :

أما عن حدود البحث الموضوعية فتقتصر على بيان موقف العلامة عبدالرحمن السعدي من الانحرافات العقدية لدى بعض الفرق والمذاهب المعاصرة، وإبراز جهوده النقدية، وردوده العلمية للمسائل المشهورة التي خالفت فيها الفرق

## والماهاب عقيدة أهل السنة والجماعة.

ومن ثم فقد اخترت الفرق والمذاهب حسب موضوعات علم التوحيد ففي باب التوحيد اخترت الرد على الملحدين والعصرانيه، وفي باب الصفات اخترت جهوده في الرد على الجهمية، وفي باب القدر أبرزت ردوده على القدرية، وفي باب الإيمان اخترت الرد على الخوارج . ونظراً للتفيد بعدد صفحات محددة للبحث اكتفيت بهذه الفرق.

### أهداف البحث :

وتتحدد أهداف البحث في :

- ١- بيان المكانة العلمية للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي الذي سخر حياته في خدمة العلم ؛ فضرب بباع في كل مجال من مجالات العلوم والفنون.
- ٢- بيان شمولية المنهج العلمي لدى العلامة السعدي ؛ إذ إنه لم يكتف بتقرير مذهب أهل السنة والجماعة في مسائل الاعتقاد؛ بل تعداه إلى إبطال رأي المخالفين له، ودحض شبهاهم.
- ٣- بيان أن العلماء منوط بهم دور كبير في مواجهة كل فكر دخيل وغريب، وذلك بتصحيح الأفكار، ورد الشبهات، وبيان الحق بالحججة والبيان الذي يقنع العقل ويشبع العاطفة.
- ٤- بيان أن الله تعالى قيس لهذه الأمة ولدينها عبر عصورها علماء أجلاء، ينفون عن هذا الدين كل دخيل، ويردون على المخالفين، ومن هؤلاء الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الذي له منهج فريد في التعامل مع المخالفين في مسائل الاعتقاد.

### منهج البحث :

انتظمت منهجية البحث على الأساسين: الاستقرائي والتحليلي، وذلك بتتبع

النصوص والأدلة ذات العلاقة بأهداف الدراسة من أقوال الشيخ السعدي – رحمه الله تعالى –، ليتم عرض الحقائق أو لاً عرضاً صحيحاً في مدلولاتها وفي تأليفها، وحتى يتم التوصل حيتند إلى استنتاج مجموعة من النتائج ذات البراهين العلمية الواضحة .. مع الالتزام بضوابط البحث العلمي، ومن ذلك :

- عزو الآيات إلى مواضعها من القرآن الكريم .

- تخريج الأحاديث النبوية تخربيجاً حسب القواعد والأصول المتبعة.

- جمع مادة البحث من مصادرها الأصلية، مع توثيق نسبة كل قول لقائله.

- اخترت أشهر المسائل العقدية التي انحرفت فيها الفرق والمذاهب حتى صارت من لوازمهما، أو مما اشتهرت به.

- راعيت في المسائل المختارة عند الفرق والمذاهب المسائل التي تعقبها الشيخ في مؤلفاته أو أفرد لها رسالة خاصة من رسائله - رحمه الله -.

- رتبت الفرق والمذاهب حسب موضوعات علم التوحيد، وأبوابه.

- راعيت في ترتيب مباحث البحث الاتزان في الکم، وما خرج عن هذه السمة إنما فرضته طبيعة المادة العلمية.

- ذكر تاريخ الوفاة للأعلام المذكورين في صلب البحث.

#### خطة البحث :

جاء التكوين العلمي للبحث في مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة على النحو التالي :

المقدمة : وفيها أسباب اختياري لهذا للموضوع، وأهدافه، ومنهج البحث، وخطته .

المبحث الأول : جهود العلامة السعدي في الرد على الملاحدة، ويشتمل على مطلبين:

**المطلب الأول : ضلالات الملحدين وخطورتها.**

**المطلب الثاني : موقف العلامة السعدي من ضلالات الملحدين.**

**المبحث الثاني : جهود العلامة السعدي في الرد على العصرانية، ويشتمل على مطلبين:**

**المطلب الأول : الانحرافات العقدية عند العصرانيين.**

**المطلب الثاني : موقف العلامة السعدي من انحرافات العصرانيين.**

**المبحث الثالث : جهود العلامة السعدي في الرد على الجهمية، ويشتمل على مطلبين :**

**المطلب الأول : الانحرافات العقدية عند الجهمية.**

**المطلب الثاني : موقف العلامة السعدي من انحرافات الجهمية.**

**المبحث الرابع : جهود العلامة السعدي في الرد على القدرية، ويشتمل على مطلبين:**

**المطلب الأول : الانحرافات العقدية عند القدرية.**

**المطلب الثاني : موقف العلامة السعدي من انحرافات القدرية.**

**المبحث الخامس : جهود العلامة السعدي في الرد على الخوارج، ويشتمل على مطلبين:**

**المطلب الأول : انحراف الخوارج الحكم على مرتكب الكبيرة.**

**المطلب الثاني: موقف العلامة السعدي من انحرافات الخوارج**

**الخلاصة : وذكرت فيها أهم نتائج البحث .**

**الفهرس: وذكرت فيها فهرس المراجع، وفهرس الموضوعات.**

## المبحث الأول: جهود العلامة السعدي في الرد على الملاحدة

### المطلب الأول: ضلالات الملحدين وخطورتها

تعد ظاهرة الإلحاد من جملة الانحرافات الخطيرة التي لها تأثير سلبي على العقيدة الصحيحة الموافقة للفطرة السليمة، إذ إنها تقول بإنكار وجود الله الخالق - سبحانه وتعالى ، والكفر بجميع الأديان، وإنكار جميع الرسالات.

وقد عرف الإلحاد بأنه: «كل فكر يتعلق بإنكار وجود خالق لهذا الكون سواءً أكان عند المتقدمين من الدهرية، أو عند من جاء بعدهم من الشيوعيين الماركسيين». <sup>(١)</sup>

وقيل: «الإلحاد الكفر بالله، والميل عن طريق أهل الإيمان والرشد، وظهور التكذيب بالبعث، والجنة، والنار، وتكريس الحياة كلها للدنيا فقط». <sup>(٢)</sup>  
فالإلحاد فكرة طارئة سخيفة لا مكان لها إلا في قلوب فئة من شواذ الناس ماتت نفوسهم، وانحرفت فطرتهم، وكابروا عقولهم.

ولا ريب أن الإلحاد المعاصر فكرة شيطانية باطلة لا يقبلها عقل، ولا منطق غذّاها اليهود لتحطيم حضارات وأديان العالم لإقامة حكمهم في الأرض. <sup>(٣)</sup>  
والإلحاد المعاصر مذهب فلسطي يقوم على جملة من الأفكار منها:

١- يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله - تعالى -، فيدعى الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق.

(١) مذاهب فكرية معاصرة / لغالب عواجي ج ٢، ص ١٠٠٢

(٢) الإلحاد عبدالرحمن عبد الخالق / ص ٢

(٣) المذاهب الفكرية المعاصرة / لغالب عواجي / ج ٢، ص ١٠٠٣ - ١٠٠٤

- ٢- ادعاء الملاحدة أن وجود الكون حدث بأثر المصادفة وأعمال الطبيعة.
- ٣- إنكار الحياة الآخرة؛ لأن المادة - عندهم أزلية أبدية.
- ٤- إنكار معجزات الأنبياء، لأن العلم في زعمهم لا يقبل ذلك .
- ٥- لا يعترفون أيضًا بأية مفاهيم أخلاقية، ولا بقيم الحق، والعدل، ولا بفكرة الروح.
- ٦- ادعاء أن المادة أزلية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت.
- ٧- ادعاء أن النظرة الغائية للكون والمفاهيم الأخلاقية تعيق تقدم العلم.
- ٨- ينظر الملاحدة للتاريخ باعتباره صورة للجرائم والحمامة وخيبة الأمل وقصته لا تعني شيئاً.
- ٩- ظهرت الحياة ذاتيًّا من المادة، عن طريق قوانين الطبيعة.
- ١٠- الإنسان مجرد مادة تطبق عليه كافة القوانين الطبيعية.<sup>(١)</sup>

ولا يخفى أن هذه الأفكار المنحرفة مخالفة للفطرة السوية؛ بل فيها خروج عن الفطرة التي لو تركت بدون تغيير أو تبديل لن تختار إلا التوحيد والإقرار بوجود الله تعالى، قال: ﴿فَأَقْمِدْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَسِيقًا فَطَرَتِ اللَّهُ أَلَّيْ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِي أَقْرَأَتِ الْقِيمَةَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]

والإلحاد له آثار مدمرة في الحياة الاجتماعية للإنسان، فالبعد عن الله - تعالى - لم يكن من آثار تدميره النفسية البشرية فقط، وإنما كان من لوازمه ذلك تدمير المجتمع الإنساني وتفكيره؛ وذلك أن نظام الاجتماع البشري لا يكون صالحًا سليمًا إلا إذا كانت اللبنات التي تشكل هذا النظام صالحة سليمة وإذا فسدت هذه اللبنات فسد تبعًا لذلك النظام الاجتماعي بأسره.<sup>(٢)</sup>

فالإلحاد لا يربى الضمير، ولا يخوف الإنسان من إله قوي قادر يراقب تصرفاته

(١) الإلحاد عبد الرحمن عبد الخالق / ص ٢٢ ، وانظر الإلحاد محمد الخضر حسين ص ١١-١٨

(٢) الإلحاد خطط كامن يهدد الشباب الحقيقة والأسباب والعلاج / ضياء دويدار / ص ٣١٧

وأعماله في هذه الأرض. فإن الملحد ينشأ غليظ القلب عديم الإحساس، قد فقد الوازع الذي يردعه عن الظلم، ويأمره بالإحسان والرحمة. بل على العكس من ذلك؛ فإن الإلحاد يعلم أتباعه أنهم وجدوا هكذا صدفة، ولم يخلقهم خالق، وأنهم خلقوا أنفسهم، وأنهم حيوانات أرضية كسائر الحيوانات التي تدب على الأرض.<sup>(١)</sup>

ولا بد من القول إن الإلحاد قد كثر أتباعه، واستند عوده، وقد تقبله بعض الناس إما للعدم إيمانهم بالدين، وإما لجهلهم وسخافة أفكارهم، وإما رغبة في الوصول إلى مآرب سياسية أو اقتصادية، أو رغبتهם في التخلص عن الدين .<sup>(٢)</sup>

وقد اجتاحت الشياطين بعض الشباب في هذا الزمان عن الدين القوي إلى هذا المسلك المنحرف بدأوا يصرحون بکفرهم وزندهتهم عبر القنوات الفضائية، والواقع الإلكترونية، وشبكات التواصل، مع أنهم ولدوا في بيئة مسلمة، ومن أبوين مسلمين.

ويلاحظ أن مشكلة الإلحاد تعد من أخطر المشكلات المعاصرة التي تواجه المجتمعات؛ ومن ثم فإنها تحتاج إلى جهد من العلماء وتصد لشبهاتها بالتنفيذ والإبطال حتى لا تnelly على شباب مجتمعاتنا وتحذدهم بأساليبها وخاصة مع سهولة التواصل الاجتماعي بين الشعوب والأمم .

## **المطلب الثاني : موقف العالمة السعدي من ضلالات الملحدين:**

وقد تصدى لانحراف وزيغ الملحدين رجال كثیر، وعلماء صدق نذروا أوقاتهم لكشف تلك الغمة الإلحادية عن أبناء الأمة من خلال الدعوة والحوار والنقد، وكشف شبهات الملاحدة.

---

(١) الإلحاد / عبد الرحمن عبدالخالق / ص ٢٢

(٢) مذاهب فكرية معاصرة / غالب عواجي / ص ٣٠٠ - ٤٠٠

ويعد العلامة السعدي -رحمه الله- تعالى من العلماء الصادقين الذين أنكروا باطل الملاحدة، وبينوا انحرافهم، ونقضوا ما قعدوا من قواعد، وهدموا ما أصلوا من أصول، وأظهروا زيفهم، وبعدهم عن الصراط المستقيم.

ولا غرابة أن يهتم العلامة السعدي بالرد على الملاحدة، فقد استفحلا الإلحاد في عصره، وسرى في كثير من الناس

بصورة هائلة، وروج له بأساليب متنوعة حتى صار من الشبهات المزورة المموهة التي يفتتن بها الناس، يقول -رحمه الله-: «ومتى تأملت أحوال البشر، وكيف سرى الإلحاد فيهم بصورة هائلة، وزخرفت له الأقوال، وروج بأساليب متنوعة، ونصر

بالقوى المادية، وجرف بيته وفنته الخلق الكثير، ولم يسلم من فنته إلا اليسير من عصمهم الله، وحفظهم بال بصيرة النافذة والبعد عن هذه الفتنة». <sup>(١)</sup>  
وقد تصدى العلامة السعدي لهذا الفكر المنحرف، ورداً هذه الضلالات من خلال عدة محاور:

### المحور الأول: نقد العلامة السعدي لأصول الملاحدة :

فاق العلامة السعدي -رحمه الله- أقر انه وأهل عصره في مجاهدة الملاحدة ونقض أصولهم، فبين أن سبب انحراف الملاحدة يرجع إلى أمرتين :

الأول: العلوم الطبيعية، فقد اغروا الما عر فوا بعض العلوم الطبيعية، ووقفت عقولهم القاصرة عندها، وقالوا: ثبت ما وصلت معارفنا إليه، ونفي ما سواه. <sup>(٢)</sup>  
الثاني: اعتمادهم على العقل وغلوهم فيه، يقول الشيخ السعدي -رحمه الله-

(١) فتنة الدجال ص ٢٥٩ ضمن مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي

(٢) الفتاوى السعدية ص ٣٧

- فإن كثيراً من الملحدين وأهل الحيرة والارتياح تاهوا بما أوتوا من ذكاء وفطنة حتى تكبروا على ما جاءت به الرسل، واحتقروا الرسل، وما جاؤوا به، وفرحوا بعلومهم، وصارت عقولهم الذكية غير الرزκية سبباً لهذا الانحراف العظيم، والإلحاد المفسد للدنيا والآخرة. فعقولهم التي طغوا بها أوصلتهم إلى هذه الهاوية السحيقة. <sup>(١)</sup>

وذكر العلامة السعدي - رحمه الله - أن الملاحدة أصلوا أصولاً يقلد فيها بعضهم بعضاً، وهي في غاية الفساد، يكفي الليب مجرد تصورها عن إقامة البراهين على نقضها، لكونها مناقضة للعقل والنقل، ولكنهم زخرفوها وروجوها فانخدع بهم أكثر الخلق.

وأعظم الأصول عند الملاحدة - كما ذكر الشيخ السعدي - أصل خبيث نقلوه عن معلمهم الأول «أرسطو» المعروف بالإلحاد، والجحد لرب العالمين، والكفر به، وبكتبه، ورسله <sup>(٢)</sup>

وهذا الأصل هو: «أنه من أراد الشروع في المعارف الإلهية فليمتحن قلبه جميع العلوم والاعتقادات، وليس في إزالتها من قلبه بحسب مقدوره، وليشك في الأشياء ثم ليكتف بعقله، وخياله ورأيه». <sup>(٣)</sup>

وقد أبطل العلامة السعدي - رحمه الله - هذا الأصل في كتابه الممتع «الأدلة

(١) الفتاوى السعدية ص ٣٧

(٢) الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين للشيخ السعدي ص ٨٧

(٣) انظر فكرة أرسطو التي اعتمد عليها الإلحاد المعاصر في كتاب الطبيعة / ج ٢، ص ٨٤٥ وما بعدها / لأرسطو / تحقيق عبد الرحمن بدوي / الدار القومية للطباعة / القاهرة / ١٩٦٥

(٤) السابق ص ٨

القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين» بثلاثة وثمانين وجهًا، منها:  
**الأول:** أن هذا الأصل أفسد على الملاحدة علومهم وعقولهم وأديانهم. وقد  
بين الناس على اختلاف نحليهم بطلان أصولهم، وأن أهلها قد خالفوا جميع الرسل  
وجميع العقلاء.

**الثاني:** أن هذا الأصل مخالف لما بعث الله به رسلاه، وأنزل كتبه، فإنه بعث  
رسلاه مذكرين للعباد ما فطروا عليه من الإقرار بوحدانية الله، ووجوب شكر  
نعمه، ومذكرين لهم بالأمر بما فطرت العقول على استحسانه؛ كالصدق والبر،  
والإحسان والأخلاق الجميلة، وبالنهي عمما فطرت العقول على استقباحه؛ من  
الكذب والظلم والعدوان وجميع الأخلاق الرذيلة، فكيف يؤمر الناس أن يمحوا  
من قلوبهم وفطروا هذه الأمور؟ وهل هذا إلا نهي عن جميع مواد السعادة والفلح  
والصلاح، وأمر بكل منكر وفحشاء وسوء وشر وفساد؟

**الثالث :** أن محو العلوم الصحيحة والعقائد الحقة من القلوب، وطلب الشك  
فيها محال غير ممكن، ومن حاول ذلك فهو

مكابر، فالحقائق الصحيحة المبنية على البراهين الحقة الواضحة لا يمكن  
إزالتها من القلوب بوجهه؛ لأن الحق إذا تمت معرفته احتل القلوب، وثبت فيها،  
واستقر، وصارت له السيطرة على كل باطل، وزهد الباطل عند مقابلته.

**الرابع:** أن المقصود الأعظم من تأصيل هذا الأصل الخبيث الكفر بما جاءت  
به الرسل والانحلال عنه، وإن أفأله من أكذب الناس، فإنهم متمسكون غاية  
التمسك بما عليه أثتمهم الملحدون، وأقوالهم وعقائدهم مقدمة عندهم على ما  
جاءت به الرسل، ويتعصبون لها غاية التعصب، فلو كانوا صادقين محقين لوجب  
عليهم أن يمحوا من قلوبهم أقوال أثتمهم وعقائدهم التي ما زالوا متمسكين بها

مقلدين لها تقليداً أعمى، فالغرض من كلامهم معروف، وهو قصدتهم الانحلال من الدين الصحيح والتمسك بأقوال هؤلاء الضالين.<sup>(١)</sup>

وردد العلامة السعدي -رحمه الله- ادعاء الملاحدة الماديين أن وجود الكون حدث بأثر المصادفة وأعمال الطبيعة بوجهين:

**الوجه الأول:** قولهم هذا الذي صرحا به، واقتندوا فيه بالمتمردين من أنتمهم الضالين يدل على أن عقول هؤلاء أقرب إلى عقول المجانين منها إلى عقول الصبيان الذين لا يعقلون؛ إذ أن الطبيعة عمياً ليس عندها علم، ولا قدرة، ولا إرادة، ولا غيرها من الأوصاف.

**الوجه الثاني:** أن هذه العوالم العظيمة لو تركت ساعة واحدة، بل لحظة واحدة للمصادفة والفووضية لزالت السموات والأرض، واختبأطت العوالم **﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَرُوْلَا وَلَيْنَ زَالَتَا إِنْ أَنْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾** [فاطر: ٤١]

والله تعالى جعل للعقول حدّاً لا تتعداه ولا تتمكن من مجاوزته، وما أدركته وتدركه من المعلومات فهو قليل جداً في جانب ما لا تعلمه من هذه العوالم، فكيف تتجاوز هذه العوالم التي قصرت العقول عن إدراكتها حتى تجحد رب العظيم الذي هذه العوالم كلها داخلة في ملكه وتصريفه وتدبيره؟ ثم ترجع إلى هذه المخلوقات وما فيها من الحوادث فتدعي أنها ولidea المصادفة من غير خالق خلقها، ولا محدث أحدهما، ولا حكيم ابتدعها ونظمها، سبحانك هذا بهتان وجرم عظيم<sup>(٢)</sup>

ونقض العلامة السعدي -رحمه الله- دعوى الملاحدة: «ثبت ما وصلت

(١) الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملاحدة للشيخ السعدي ص ١٠ - ١٤

(٢) السابق، ص ١٠ - ١٤

معارفنا إليه، ونفي ما سواه بقوله: «فترى بهذا

أن نفهم جهل وباطل باتفاق العقلاء، فإن من نفى ما لا يعرفه، فقد برهن على  
كذبه وافتراه، فكما أن من أثبت شيئاً

بلا علم، فهو ضال غاو، وكذلك من نفى شيئاً بغير علم.»<sup>(١)</sup>

ويؤكد الشيخ -رحمه الله- في نقضه لهذه الدعوى أن إثبات الملاحدة لعلوم  
الطبيعة التي عرفوها ووصلت إليها معارفهن قاصر لم يصلوا إلى غايتها وحقيقة،  
فلم يصلوا بذلك إلى خالق الطبيعة ومبدعها، ولم يعرفوا المقصود من نظامها  
وسببيتها، فأثبتوا بعض السبب، وعموا عن المقصود، وهم في علمهم ذا حائزون  
متددون، لا تثبت لهم قدم على أمر من الأمور، ولا تثبت لهم نظرية صحيحة  
مستقيمة، فهم دائمًا في خبط وتناقض.<sup>(٢)</sup>

#### المحور الثاني: نقد العلامة السعدي للقصيمي الملحظ:

صنف العلامة السعدي -رحمه الله- رسالته القيمة «تنزيه الدين وحملته  
ورجاله مما افتراء القصيمي في أغلاله» بين فيها للناس زيف القصيمي وانحلاله،  
وفضح كذبه وافتراه، وفساد ما يدعو إليه من عقائد منحرفة، وقيم منحطة.

فقد مال القصيمي إلى الدعوة الإلحادية، وأصبح من دعاتها يروج لضلالاتهم،  
ويدعو لأباطيلهم، وتتجلى مظاهر انحرافه فيما يلي:

١- زعم القصيمي أنه لا فرق بين الخالق والمخلوق، وأن من فرق بينهما من الأنبياء  
والرسل وأهل الأديان فهو غالط ضال.

٢- زعم أن الطبيعة تفاعل وتطور وتدير أمر العالم، وتدبّره وتنظم الأمور الجليلة

(١) الفتاوى السعدية ص ٣٧ ، وانظر : تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ص ٣٤١

(٢) السابق ص ٣٧ ، وانظر : تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ص ٣٤١

والحقيقة، وأنكر قضاء الله وقدره، وأرجع ذلك إلى العلم بانتظام الطبيعة، وهذا إنكار منه لله، ولأفعاله، ولصفاته.<sup>(١)</sup>

٣- نبذ الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وأنكر العقوبات على المعاصي والذنوب في الدنيا والآخرة.

٤- دعا إلى الإباحية والتحلل والانسلاخ من الدين.<sup>(٢)</sup>

اهتم العلامة السعدي - رحمه الله - بانحراف القصيمي، ورد عليه ردًا علميًّا هادفًًا، وابنرى متصدِّيَ الكتابة، مفنداً لأباطيله، وناقضاً لأحابيله. مبينًا ما فيه من الكفر البواح والردة المغلظة، قال العلامة السعدي - رحمه الله - : "من نظر فيه وتأمله حق تأمله، عرف أنه ما كتب أشد وطأة، وأعظم عداوة ومحاربة للدين الإسلامي ومنفراً منه، وأنه ما اجترأ أحد من الأجانب، وغيرهم بمثل ما اجترأ عليه هذا الرجل ولا افترى مفتر على الدين كافترائه، ولا حرَف أحد له نظير تحريفاته، وما صرَّح أحد بالوقاحة والاستهزاء والسخرية بالدين، وأصوله، وتعاليمه، وأخلاقه، وآدابه، وحملته كاستهزاء وسخرية، فإنه اشتمل على نبذ الدين ومنابذه ومنافقته؛ ثلاثة لا تُبقي من الشر شيئاً إلا تضمنته، فإنه صريح في الانحلال عن الدين بالكلية".<sup>(٣)</sup>

وبيَّنَ الشَّيخُ السَّعديُّ - رَحْمَهُ اللَّهُ - الْهَدْفُ مِنْ كِتَابِ الْقُصِيمِيِّ، وَأَنَّهُ مُوجَّهٌ إِلَى قلبِ الدِّينِ وَرُوحِهِ، وَإِلَى هَدْمِ عِلْمِهِ وَأَصْوْلِهِ

(١) هذى هي الأغلال / للقصيمي / ص، ٢٥٣، وانظر: تزييه الدين ص ١٦٦-١٦٧ ضمن مجموع مؤلفات الشَّيخِ عبدِ الرَّحْمَنِ السَّعديِّ

(٢) هذى هي الأغلال / للقصيمي / ص ٨٧، وص ١٠٤

(٣) تزييه الدين ص ١٦٦ ضمن مجموع مؤلفات الشَّيخِ عبدِ الرَّحْمَنِ السَّعديِّ

وقواعده وجميع مقواته.<sup>(١)</sup>

ورددَ العلامة السعدي - رحمه الله - زعم القصيمي: «أن الإيمان بالله وبالاليوم الآخر، يمنع الرقي، ويمنع كون العبد سبيلاً محضاً

متتفعاً بأعماله، وأنه غل ورباط يمنع من الخير والصلاح، وأن الأديان السماوية أكبر المصائب على البشر.» بقوله: «وقولٌ وصل إلى هذا الحد ليس بعده تقدم إلى الكفر، وإنما هو النهاية في الكفر والتعطيل، والجحود لرب العالمين، والخروج من الديانات السماوية كلها، وهو غاية الخروج من العقل والحس، فإن قضية الإيمان بالله ورسوله هي أكبر القضايا وأعظمها وأوضحتها وأجلها براهين وأدلة، وإثبات أنه هو الفعال لما يريد الخالق لكل شيء الذي يدب الأمور كلها، ويكرم الطائعين، ويعاقب العاصين، فلا ينكر ذلك إلا مكابر مباحث من حل من العقل الحقيقي، بعد انحلاله من الدين»<sup>(٢)</sup>

ويظهر في تصدي العلامة السعدي لأباطيل القصيمي تحلي الشيخ - رحمه الله - بالموضوعية والعدل والرحمة فقال مبيناً مكانة القصيمي قبل إلحاده: «وكان هذا الرجل قبل كتابته، وإظهاره لهذا الكتاب معروفاً بالعلم والانحياز لمذهب السلف الصالح، وكانت تصانيفه السابقة مشحونة بنصر الحق، والرد على المبتدعين والملحدين، فصار له بذلك عند الناس مقام وسمعة حسنة»<sup>(٣)</sup>

ومما يدل على إنصاف الشيخ السعدي - رحمه الله - أنه لم ينكر ما في كتاب القصيمي من حق، ودعوة إلى العلم الدنيوي، وذم الجهل وآثاره الضارة، فقال: «

(١) السابق ص ١٦٩ ضمن مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي

(٢) تنزيه الدين ص ٤٣ طبعة دار ابن الجوزي

(٣) السابق ص ٣١ طبعة دار ابن الجوزي

ونحن لا ننكر ما في كلامه وكتابه، من المعاني الصحيحة المطروقة التي لم يزل أهل العلم يقولونها ويفدونها، من الحث على تعلم العلوم، وفنون الصنائع النافعة، وما فيه من ذم الجهل وأثاره الضارة، وما فيه من تأخر المسلمين في الفنون العصرية، وما فيه من وصف تفوق غيرهم في فنون المادة، فقد ذكر أهل العلم من هذه الأمور أكثر مما ذكر هذا الرجل، ولم يبيّن ما بينوه ولا شرح الداء الذي أصاب المسلمين حقيقة ولا كيفية الدواء»<sup>(١)</sup>

### المحور الثالث: إبطال مشكلة الإلحاد عن طريق الحوار

أدار الشيخ -رحمه الله- في كتابه القيم «انتصار الحق» محاورة بين مؤمن موحد، وملحد مفتتن بالإلحاد بأسلوب ممتع رفيع، وهذه المحاورة اللطيفة الهدافه جمعت بين قوّة الحجّة، ووضوح المحجّة، وسلامة المنهج، وبُعد النظر والبحث عن الأسباب، وعلاجها ثم الوصول إلى الشمرة المرجوة»<sup>(٢)</sup> ساق العلامة السعدي -رحمه الله- من خلالها شبّهات الملاحدة، وبين حالهم، ثم أورد أجوبة جلية عن أهل الإلحاد، وبين محاسن الإسلام ومزاياه، وتحقيقه السعادة في الدارين، وانتهت هذه المحاورة بتوبية الملحد وعودته إلى الإسلام.

تعقيب:

وأخيراً من خلال جهود العلامة السعدي -رحمه الله- في دحض أباطيل الملاحدة يظهر ما يلي :

أولاً: الالمام الواسع بنظريات الإلحاد وأصولها، فقد كان الشيخ على دراية واسعة بنظرية «دارون»، وبمسلك الملاحدة

(١) تنزيه الدين ص ٣٣ طبعة دار ابن الجوزي

(٢) انتصار الحق ص ٦ المقدمة.

الطبائعين، وبنظريات أهل الفلسفة، قال الشيخ السعدي: «فتجراً هذا الرجل وترك ما أخبرت به الرسل والكتب السماوية، وسلك مسلك ملاحقة الطبائعين، الذين نظروا نظرية خرافية تسمى نظرية دارون الإنكليزي، مآلها تسلسل الإنسان عن القرد، والقرد عن كلب أو حيوان دونه، وهكذا خطأهم فيها قوتهم فضلاً عن الرسل وأتباعهم»<sup>(١)</sup>

ثانياً: تصدي الشيخ السعدي -رحمه الله- لشبهات الملحدين وإبطالها يبين لنا شمولية منهجه في العقيدة؛ إذ أنه -رحمه الله- لم يكتف بتأصيل القواعد، وشرح الأصول، وتقرير العقائد، بل رد على عموم اعترافات الملحدين ودعائهم. ومما أكسب منهج العلامة السعدي -رحمه الله- الشمولية أن ردوده جاءت شاملة لكل من خالف عقيدة التوحيد، ولم تكن قاصرة على فرقه بعينها أو طائفه خاصة.

---

(١) تنزيه الدين ص ٣١ طبعة دار ابن الجوزي .

## المبحث الثاني: جهود العلامة السعدي في الرد على العصرانية

### المطلب الأول: الانحرافات العقدية عند العصرانيين

قامت المدرسة العصرانية على أنقاض المدرسة العقلية القديمة - مدرسة المعتزلة، وورثت العديد من أفكارها ومنهجها، وتسعى للتوفيق بين الإسلام والعلمانية الحديثة، فلما تقاد نطالع كتاباً من كتب هذه المدرسة، أو نتأمل في اجتهاد من اجتهاوداتها إلا ونجده متأثراً بفكرة المعتزلة في أصوله ومنطلقه، وواقعاً تحت ضغط العلمانية والفلسفة الغربية في مآلها و نتيجتها.<sup>(١)</sup>

فالمدرسة العصرانية اسم يطلق على ذلك التوجه الفكري الذي يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية والفكر الغربي المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلاً جديداً يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين.<sup>(٢)</sup>

وكلمة عصرانية لا تعني مجرد الانتهاء إلى هذا العصر، ولكنها مصطلح خاص إذ تعني العصرانية في الدين: أي وجهة نظر في الدين مبنية على الاعتقاد بأن التقدم العلمي والثقافة المعاصرة، يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة.

ومن ثم فالتطوير عند العصرانيين يكون بتعديل وتغيير أصول الشريعة، وفروعها تبعاً للمناهج العقلية التي اصطنعها الغرب حديثاً، ولا يسلم من هذا

---

(١) التجديد في الفكر الإسلامي / ص ٣٦٧

(٢) حوار هادئ مع محمد الغزالى / ص ٩، وانظر مذاهب فكرية معاصرة ج ١، ص ٦١٧

### التطوير أمر من أمور الشريعة.<sup>(١)</sup>

لقد كشف العصرانيون عن مقاصدهم ومراميهم من التجديد يقول «أمين الغولي»: «إننا ننتهي باطمئنان إلى أن التجديد الديني، إنما هو تطور، والتطور الديني هو نهاية التجديد للحق»<sup>(٢)</sup>

ويقرر «محمود الشرقاوي» أن الدين لين واسع الأفق نستطيع أن نوفق بين روحه وبين كل مظاهر الحضارة، وأن نجد في نصوصه ما يساير الأطوار المختلفة التي تتخطاها البشرية في عصورها المتباينة، ثم يقول: «ويجب أن تفرق بين روح الدين وغايته، وبين أحکامه النوعية وتطبيقاتها، وبين الدين كشعور وعقيدة وإيمان، والدين كتقاليد وأشخاص دينيين، فروح الدين وجواهره هما الشيء الخالد الباقى الذي لا يتعارض مع أي عصر، وعلى هذا الفهم نستطيع أن نجد في نصوص الدين الإسلامي كل ما يتفق مع مظاهر الحضارة التي تغمرهم وتتجذبهم إليها»<sup>(٣)</sup> الانحرافات العقدية عند المدرسة العصرانية.

انحرف العصرانيون في جوانب عديدة متعلقة بمسائل الاعتقاد، حيث عبّثت بها أهواؤهم، ولم تسلم من تحريفاتهم، ومنها:

١- تقديس العقل وتقديمه على النقل، فقد اعتبروا العقل مبدأ أصول العلم، وجعلوا الوحي تابعاً له، بل حكمو العقل في نصوص الشرع فلا يقبلون منها إلا ما أيده العقل ووافقه، ويرفضون منها ما عارضه وخالفه.<sup>(٤)</sup>

---

(١) المعتزلة بين القديم والحديث/ محمد العبدة، وطارق عبدالحليم ص ١٣٧

(٢) المجددون / أمين الغولي / ص ٨٥

(٣) التطور روح الشريعة الإسلامية / محمود الشرقاوي / ص ١٦٢

(٤) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب / محمد حامد الناصر / ص ٢٠٤

- ٢- إنكار الغيبات أو تأويلها، فقد أقدم بعض دعاة التجديد العصري على إنكار الغيبات، وحاول آخرون تأويلها؛ وذلك لأن الغيبات والمعجزات أمور لا تقع تحت الحس، ولا تخضع لمألوف العقل البشري، ولا تجري على السنن المعتادة.
- ٣- الدعوة إلى وحدة الأديان، فهم يزعمون أن الملل اليهودية والنصرانية والإسلام، هي بمنزلة المذاهب الأربعة عند المسلمين، لذلك يزعمون أنها السبيل إلى جمع الناس على مذهب واحد، تزول معه خلافاتهم الدينية والعنصرية، وهدفهم أن تصبح الأرض وطنًا واحدًا يدين بدين واحد، ويتدوّق الآداب بذوق مشترك.<sup>(١)</sup>
- ٤- الدعوة إلى حوار الأديان والحضارات، ويقصدون بها اعتقاد صحة عقائد الأديان الأخرى وعبادتها، وأنها طرق موصلة إلى الله. مع اعتبار الخصائص المميزة بين الأديان ظواهر وتقاليد تاريخية لشعب معين، أو حقبة زمنية معينة، أو اعتبارها أنواعاً مختلفة توصل إلى حقيقة واحدة.
- وهدفهم العمل على المساواة بين كتاب المسلمين وعبادتهم ومساجدهم، مع ما يقابلها عند أصحاب الأديان الأخرى<sup>(٢)</sup>
- ٥- تطويق النصوص وتأويلها تأويلاً جديداً يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين، وعرض الإسلام عرضاً يقبله المثقفون ثقافة عصرية.
- ٦- التوسيع في تفسير القرآن الكريم على ضوء العلم الحديث بكل جوانبه، ولو أدى

(١) تيارات اليقظة الإسلامية محمد عمارة ص ٢٨٠، وانظر العصريون ص ٣٠٤، التجديد في الفكر الإسلامي / ص ٤٢٠

(٢) انظر: الإبطال لنظريه الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان ص / ١٣ - ٢٤، ودعوة التقرير بين الأديان ج ٤ / ١٤٦٢

ذلك إلى استحداث أقوال مجانية لدلائل الآيات اللغوية، ومعارضة للمنقول عن السلف رضي الله عنهم، ومن ذلك مثلاً أن بعضهم يؤولون الملائكة، والشياطين، والجن، والسحر، وغيرها كما ورد في تفسير محمد عبده.<sup>(١)</sup> لقد شكلت أطروحتات وأفكار العصرانيين ركاماً هائلاً من الشكوك والشبهات، وأثارت نقعاً حجب الحقيقة عن جمهور المسلمين، لذلك تصدى لها علماء صدق؛ فحضروا من أبوظيلهم، وفندوا شبهاهم، وأبطلوا حججهم. وكان من هؤلاء الصادقين العلامة السعدي -رحمه الله- الذي انبرى للوقوف أمام أفكار العصرانيين الوافدة بالحججة والبيان، وللتذير من انحرافتهم العقدية.

## المطلب الثاني : موقف العلامة السعدي من انحرافات العصرانيين :

حضر العلامة السعدي -رحمه الله- من مزاق العصرانيين، وما تلبسو به من تحريف للعقائد، واهتم بالرد عليهم، والجواب عن شبهاهم. وقد أرجع العلامة السعدي -رحمه الله- تأثر العصرانيين بآراء الملاحدة إلى جملة من الأسباب، منها:

- ١- عدم علمهم بما تؤول إليه أفكار وتأويلات الملاحدة من الغرب.
- ٢- رسوخ كثير من أصول الفلسفة في قلوبهم.
- ٣- تقليدهم لمن يعظمونهم من المفكرين الغربيين.
- ٤- مجاراتهم لزنادقة علماء الفرنج الذين يتهكمون بمن لم يوافقهم على كثير من أصولهم.

(١) انظر: التجديد في الفكر الإسلامي / ص ٣٦٦

## ٥- خوفهم من نسبتهم للبلاد. <sup>(١)</sup>

أطب الشیخ السعدي - رحمه الله - في إبطال مزاعم العصرانيين، وبيان غلطهم فيما ادعوه من إنكار الغيبات، أو تأويلها، وبين أنه لا مجال للعقل لإنكار الغيبات من وجوه :

الأول : أن الأديان أخبرت عن أمور الغيب أخباراً مفصلة تفيد القطع، واليقين كالأخبار عن الله ونوعه وأفعاله، وعن الملائكة، والجنة، وعن اليوم الآخر، والجنة والنار. وفرضت على الخلق اليقين التام بكل ما أخبر الله به، وما أخبرت به رسالته، والوقوف عنده وعدم تجاوزه.

الثاني: أنه لا طريق للخلق إلى معرفة كنه الغيبات وحقيقةها، مهما ارتفعت معارفهم. ومن ثم فقد نهى الشرع عن التكلف بطلب معرفة كنه ذلك، وبين أنه لا سبيل للبشر إلى معرفة حقيقة هذا الغيب، قال تعالى: ﴿عَلَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ عَيْشِهِ أَحَدًا﴾ <sup>(٢)</sup> [إِلَّا مَنْ أَرَضَنَّ مِنْ رَسُولِهِ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴿] [الجن: ٢٦-٢٧] وبهذا يعرف أن أمور الغيب خارجة عن طور المحسوسات، وأنه لا سبيل إلى التوصل لإدراكتها. <sup>(٣)</sup>

الثالث: يقر الشیخ السعدي - رحمه الله - وجوب التسليم التام بالغيبات فيقول: « وأنه يجب التسليم التام فيها إلى الشارع بلا قيد ولا شرط . وبهذا يعرف أن من شرط في الإيمان بهذا النوع أنه لابد أن يدخل في علوم البشر ، وفنون المعارف الكونية والمادية فهو في الحقيقة لم يؤمن بالأنباء ، وبما أتوه من الله » <sup>(٤)</sup>

(١) انظر: الرد على الزنادقة ص ٨٧ ضمن مجموع مؤلفات الشیخ العلامه عبد الرحمن السعدي

(٢) انظر: وجوب التعاون بين المسلمين ص ٢٤٤-٢٤٥

(٣) انظر: السابق ص ٢٤٥

الرابع: يؤكّد الشّيخ - رحمه الله - أنّ مقصود الإيمان بالله، وبكتبه ورسله لا يتم إلّا بالإيمان بالغيب، وتسليم أمور الغيب وتفاصيلها إلى ما ذكره الله في كتابه، وأخبر به رسوله، وبالوقوف على ذلك وعدم تعديه يحصل المقصود من التكليف، والامتحان بالشرائع، ولو صار الغيب مشاهداً ومعروفاً للناس في هذه الدار زال هذا المقصود الأعظم، ولم يحصل الإيمان الاختياري المثمر للسعادة الأبديّة.

وينكر العلامة السعدي - رحمه الله - على من جاري الماديين وحاول تقرير الغيبات من الماديات المدركة بالحواس فقال: «ونعرف بذلك غلط المغاربين للماديين من العلماء العصريين، واعتذارهم بأن قصدهم التقرير للأمور الغيبية من الأمور المادية المدركة بالحواس اعتذار فيه خطأ وغلط كبير، فإن الماديين الذين لا يؤمنون بغير المادة والطبيعة هم منكرون للرب ولرسنه ولليوم الآخر، فالواجب التكلم مع أمثال هؤلاء في براهين التوحيد والرسالة والمعاد، وبراهين وجوب تصديق الأنبياء في كل ما أخبروا به»<sup>(١)</sup>

ويطّل العلامة السعدي - رحمه الله - فكرة تقرير الأمور الغيبية من الأمور المادية المحسوسة بأمررين:

الأمر الأول: أنه يضعف الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله إضعافاً ظاهراً، فإن من لا يقنع بخبر الله، وخبر رسنه في أمور الغيب حتى يقوم عنده ويزعمه دليل عقلي على ذلك فهذا فتح لباب الاستغناء عن الرسل، ومشابهة لمن قال الله فيهم: ﴿فَالْوَالَّنِ تُؤْمِنَ حَتَّى تُقْرَنَ مِثْلَ مَا أُوْقِ رُسُلٌ﴾ [الأنعام: ١٢٤]

الأمر الثاني: أنه لا ينفع المعطلين المنكرين للغيبات؛ لأن الدخول معهم في هذه المباحث والانهماك في تمثيل أمور الغيب بأمور المادة معهم إغراء لهم على

(١) انظر: وجوب التعاون بين المسلمين ص ٢٤٥

لزوم ما هم عليه من الإنكار، لأن هذا الذي يزعم أنه ينصر الدين نهاية ما يصل إليه أن يجعله تابعاً لعلومهم. والواجب أن يجعل الكتاب والسنة أصلًا، والعلوم العقلية والطبيعية والكونية تابعة، وبذلك يحصل الإيمان الصحيح.<sup>(١)</sup>

ويرجع العالمة السعدي -رحمه الله- حصر كثير من الماديين السنن الإلهية التي يسمونها سنن الطبيعة في نوع مادي محض، يدخل تحت علومهم وإدراكاتهم إلى الجهل.

وبسبب الطريق الجاهلي نفوا أمور الغيب، ونفوا معجزات الأنبياء، ونفوا تغيير الله -تعالى- للأسباب عن نظامها الذي يعرفون، وهذا من أعظم مضار الجهل وقبائمه.

ويبطل العالمة السعدي زعم العصرانيين أن السنن الإلهية مندرجة تحت التفاعل بين المواد والجواهر الكميائية، والتجارب المكررة بقوله: «وقد دلت البراهين اليقينية والكتب السماوية كلها، بل والمحسوسات والمشاهدات التي لا يمكن إنكارها، على أن الله سنتنا متنوعة، وأن عناصر العلم العلوى والسفلى منقادة لإرادة الله وحكمته وعلمه المحيط، وأنه يجري المقايير والحوادث على سنن حكيمة متنوعة، قد تعقل أسبابها، وقد لا يعقل أسبابها إلا من ارتضاهم الله لرسالته»<sup>(٢)</sup>

ويعيّب العالمة السعدي -رحمه الله- تعالى -على العصرانيين الذين اغتروا بزخارف المدينة الغربية فتزعموا دعوى تقرير شرائع الإسلام للأنظمة المعاصرة، فقال: «ويمهدنا نعرف غلط من يريد نصر الإسلام بتقرير نظمه إلى النظم التي جرت

(١) انظر: السابق ص ٢٤٥ - ٢٤٦

(٢) انظر: وجوب التعاون بين المسلمين ص ٢٤٦

عليها الحكومات ذات القوانين والنظم، فإنها هي التي تتقوى وتقوى إذا وافقت في بعض نظمها، وأما الإسلام فإنه غني عنها، مستقل بأحكامه، لا يضطر إلى شيء منها؛ ولو فرض موافقته لها في بعض الأمور فهذا من المصادفات التي لا بد منها، وهو غني عنها في حال موافقتها أو مخالفتها. فعلى من أراد أن يشرح الدين، ويبيّن أو صافه أن يبحث فيه بحثاً مستقلأً لا يربطه بغيره، أو يعزّزه بغيره؛ فإن هذا نقص في معرفته، وفي الطريق التي يبصر بها، وقد ابتدأ بهذا كثير من العصراء بنية صالحة، ولكنهم مغوروون بزخارف المدنية الغربية التي بنيت على تحكيم المادة وفصلها عن الدين»<sup>(١)</sup>

تعقيب:

وأخيراً يظهر من خلال حديث العلامة السعدي -رحمه الله- عن العصراءين ما يلي:

أولاً: إحاطة الشيخ السعدي -رحمه الله- بالتحديات التي تواجه العصر، والتحذير منها، وبيان مدى انحرافها عن الصراط المستقيم، والمنهج القوي.

ثانياً: يظهر من حديث العلامة السعدي -رحمه الله- عن العصراءين مدى ما تتمتع به من أخلاق حسنة، وأدب رفيع. فيقول عمن تأثر بالفكر الغربي من العصراءين: «وقد ابتدأ بهذا كثير من العصراء بنية صالحة» فالشيخ -رحمه الله- يحسن بهم الظن رغم انحرافاتهم وأباطيلهم، لم يكفرهم ولم يفسقهم، ولم يدعهم، وهذا يدل على مدى الازان الفكرى الذي تتمتع به -رحمه الله- تعالى.

ثالثاً: يلاحظ أن العصراءين لا يفهمون حقيقة ما يقصدونه ويقولونه، ولهذا يتناقضون كثيراً في قولهم، وإنما يتخيرون شيئاً ويقولونه أو يتبعونه. وكل من يقبل

---

(١) انظر: الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة في العقيدة ص ٤٨٦

قول هؤلاء فهو أحد رجلين: إما جاهم بحقيقة أمرهم، وإما ظالم يريد علوّاً في الأرض وفساداً، أو جامع بين الوصفين.<sup>(١)</sup>

رابعاً: أن العصرانين ابتكرتا طريقة غير مألوفة في فهمهم للدين، وتفسيرهم لنصوصه الثابتة المتواترة فصدق عليهم قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لِمَا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرْبِيعٍ﴾ [ق: ٥] وصدق عليهم قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا مُّصَدِّقٍ فَرِحُوا بِمَا يَعْنَدُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِنُونَ﴾ [غافر: ٨٣]

(١) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل ج٤ / ص٤ / ابن تيمية

## المبحث الثالث : جهود العلامة السعدي في الرد على الجهمية.

### المطلب الأول: الانحرافات العقدية عند الجهمية.

الجهمية نسبة إلى الجهم بن صفوان (ت: ١٢٨هـ)؛ لأنّه هو الذي وضع مذهب الجهمية ودعا إليه، وتوسّع في مسائله، وجادل من أجله<sup>(١)</sup>.

وتعود دراسة الانحرافات العقدية التي نادت بها الجهمية من الأمور المهمة لعدة أسباب:

الأول : أن الجهمية شكلت خطرًا في طريق العقيدة السلفية الصافية وانتشارها؛ حيث صرّفوا علماء السلف عن نشرها بما وضعوا أمامهم من عرّاقيل شغلتهم وأخذت الحيز الأكبر من أوقاتهم في رد شبّهات الجهمية ومجادلاتهم لهم وخصامهم معهم<sup>(٢)</sup>.

وهذا يدل على حرص علماء السلف على الحفاظ على المجتمعات المسلمة وضرب سياج حولها يحول بينها وبين الأفكار الضالة وذلك بالتصدي لكل ما هو غريب عن العقيدة النقية الصافية، عقيدة أهل السنة والجماعة .

الثاني : لأن شبّه الجهمية النفا - كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - أثرت في قلوب كثير من الناس حتى صار الحق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم - وهو المطابق للعقل - لا يخطر ببالهم ولا يتصورونه<sup>(٣)</sup>

وقال - رحمه الله - مبينًا أثر الجهمية في نفوس الكثير من الناس: «وصارت

(١) انظر مقالات الإسلاميين / للأشعرى / ج ١ / ص ٣٣٨

(٢) فرق معاصرة / دغالب بن علي عواجي ج ٣ / ١١٣١.

(٣) درء تعارض العقل والنقل / لابن تيمية ج ٢ / ٣٠٨ .

### فروع التجهم تجول في نفوس كثير من الناس<sup>(١)</sup>

الثالث : أن الانحرافات العقدية عند الجهمية لا تزال في بعض المجتمعات؛ فما يردد «العصريون الجدد» من الآراء مثل : الاعتقاد بعدم وجود الجنة والنار الآن، أو زعمهم أن الله لا يوصف بوصف ، أو الاكتفاء بمعرفة وجود الله عن العمل، فهذه الآراء هي نفسها آراء الجهمية قديماً، ولكن تساق في مجتمعاتنا تحت دعوى التجديد والتطور .

نقل الملطي (ت: ٣٧٧ هـ) عن »أبي عاصم خشيش بن أصرم« (ت: ٢٥٣ هـ) كل ضلالات جهنم بن صفوان ومنها :

- ١- أنكر جهنم أن يكون الله - تعالى - على العرش .
- ٢- وأنكر جهنم أن يكون الله كرسي .
- ٣- وأنكر جهنم أن يكون الله في السماء دون الأرض .
- ٤- وأنكر جهنم أن الله يجيز على الصراط عباده .
- ٥- وأنكر الميزان .
- ٦- وأنكر جهنم ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَهُنْظِئِينَ﴾ [١٠] ﴿كِرَامًا كَثِيرَينَ﴾ [١١] [الأنفطار : ١٠، ١١]
- ٧- وأنكر جهنم أن يكون الله جل وعلا حجاب .
- ٨- وأنكر جهنم أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا .
- ٩- وأنكر جهنم النظر إلى الله عز وجل .
- ١٠- وأنكر جهنم أن يكون الله عز وجل وجه .
- ١١- وأنكر جهنم أن يكون الله سمع وبصر .
- ١٢- وأنكر جهنم أن ملك الموت يقبض الأرواح .

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١٢ / ٣٥٨

- ١٣- وأنكر جهنم عذاب القبر، ومنكراً ونكيراً .
- ١٤- وأنكر جهنم أن الله يتكلم .
- ١٥- وأنكر جهنم أن الله كلم موسى تكليماً .
- ١٦- وأنكر جهنم أن الله استوى إلى السماء .
- ١٧- وأنكر جهنم الشفاعة .
- ١٨- وأنكر جهنم أن يكون الله تعالى يد .
- ١٩- وأنكر جهنم أن الله جل اسمه خلق الجنة والنار .
- ٢٠- وزعم جهنم أن الجنة والنار تفنيان بعد خلقهما<sup>(١)</sup>

## المطلب الثاني : موقف العلامة السعدي من انحرافات الجهمية :

تعقب العلامة السعدي الانحرافات العقدية التي قال بها الجهمية بالنقد والتفنيد، ولم يفسح المجال أمام آراء الجهمية بل وقف يبطلها ويرد عليها، ويبين ضلالها وزيفها، وبعدها عن الصواب .

وبين العلامة السعدي - رحمه الله - أسباب افتتان الناس بمقالة الجهمية رغم انحرافها فيقول: « هذا القول مفضي إلى تعطيل رب العالمين وجحده، ولكنهم موهو قولهم وزخرفوه، وحسنوا لهم العبارات، وهو لوا مخالفتها، وضموا إلى ذلك القدر في مذهب السلف، وتسميت بأسماء قبيحة، فتولد من ذلك قبول الناس له وافتتانهم به »<sup>(٢)</sup> .

(١) التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع / المطفي / ٧٦-١٠٢ .

(٢) توضيح الكافية الشافية / ص ٢٨٩ ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن السعدي

ويتضح موقف الشيخ السعدي من الانحرافات العقدية للجهمية مما يلي :

**أولاً : رد العلامة السعدي على قول « جهنم » بخلق القرآن :**

يبين العلامة السعدي - رحمه الله - في بداية رده لهذا الانحراف العقدي أنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق أُمًا الألفاظ والحروف، والكتابة القراءة، فهي حادثة مخلوقة .

يقول الشيخ السعدي: « والقرآن كلام الله غير مخلوق الفاظه ومعانيه، فهو كلام رب العالمين وتنزيله ووحيه، وأما أفعال العباد كأصواتهم ومدادهم الذي به يكتبون القرآن والرق الذي يكتبون عليه فإن ذلك من جملة المخلوق »<sup>(١)</sup>

ذهب « جهنم » وأتباعه إلى أن القرآن مخلوق، خلقه الله كما خلق السموات والأرض، وأنه خارج عن ذات الله لا يقوم بذاته كلام ولا قول.

ردَّ عليه العلامة السعدي بأنَّ هذا زعم باطل، فقال - رحمه الله - : « فلما قال الناس لهم هذا أمر معلوم بطلانه، فإن الكلام صفة المتكلِّم، والله قد أضافه إلى نفسه إضافة صفة إلى موصوفها ». فرَّعُوا أن إضافته إليه إضافة تشريف كإضافة ناقة الله، وبيت الله، وعبد الله.

فأجابهم الناس بما هو معروف ومتقرر عند كل أحد مع دلالة الكتاب والسنة إليه، فقالوا إن الإضافة نوعان:

أحدهما: ما يضيفه الله إلى نفسه من الأعيان كبيت الله، وناقة الله، ونحوهما، فهذه الإضافة لبعض مخلوقاته تفيد تشريفه وتكريمه بما امتاز به ذلك المضاف من الأوصاف الفاضلة

**الثاني: إضافة معان وأوصاف تقوم بغيرها كعلم الله، وقدرته، وإرادته، وكلامه،**

(١) السابق / ص ٣٠١ ضمن المجموعة الكاملة لمُؤلفات الشيخ عبدالرحمن السعدي

فهذه بالإضافة من باب إضافة الأوصاف إلى موصوفها تقضي قيامها به واتصافه بها، ومن خالف هذا الفرق فهو منكر للمحسوسات<sup>(١)</sup>

وأبسط الشیخ السعدي -رحمه الله- زعم الجهمية «لا يقوم بذاته کلام ولا قول»، فقال: « وكلامه من جملة صفاته قائم بذاته، فلو لم يقم بذاته لم يكن في الحقيقة متكلماً، وقد وصف الله نفسه بالكلام والتکلم والتکلیم والقول والنداء والنجاء، فالنداء الصوت الرفيع، والنجاء الصوت الخفي، وهذه الأمور لا تعقل إلا لمن اتصف بها وقامت به، وأسمعها غيره، والقرآن سور وآيات وکلمات وحروف كما ورد في الآثار بهذه الأوصاف له، وكما هو معروف بين الناس، وهو كله کلام الله متزل غير مخلوق.»<sup>(٢)</sup>

وأوضح الشیخ بطلان استنتاجهم من قوله تعالى ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَجْدُ الْفَهِرُ﴾ [الرعد: ١٦] حيث يجعلون لذلك مقدمة، وهي: أن القرآن شيء وكل شيء مخلوق إذاً فالقرآن مخلوق.<sup>(٣)</sup>

وقد أظهر الشیخ السعدي أن الآية لا تدل على ذلك فقال: « وليس کلام الله من الأشياء المخلوقة؛ لأن الكلام صفة المتكلم، والله تعالى بأسمائه وصفاته أول ليس قبله شيء، فأخذ أهل الاعتزاز من هذه الآية ونحوها أنه مخلوق، من أعظم الجهل، فإنه تعالى لم ينزل بأسمائه وصفاته، ولم يحدث له صفة من صفاته، ولم يكن معطلاً عنها بوقت من الأوقات»<sup>(٤)</sup>

(١) توضیح الكافیة الشافیة / ص ٣٠٥ ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشیخ عبدالرحمن السعدي

(٢) السابق / ص ٣٠٧-٣٠٨ ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشیخ عبدالرحمن السعدي

(٣) الشیخ عبدالرحمن السعدي وجهوده في العقيدة / ص ١٤٥ / عبدالرزاق البدر

(٤) تيسیر الكریم الرحمن في تفسیر کلام المنان / ص ٧٣٨

## ثانياً : رد العالمة السعدي على قول الجهمية بنفي الصفات :

تعد الجهمية أول الفرق انحرافاً في باب الصفات حيث ابتدعوا القول بنفي الصفات، يقول العالمة السعدي:» كان الجهم بن صفوان معروفاً بين الأمة بهذه البدعة الشنعاء الجامعة لشروع كثيرة أعظمها وأطمنها نفي صفات الله التي توالت في الكتاب والسنة واتفق عليها جميع سلف الأمة «<sup>(١)</sup>

وتمثلت شبهتهم في: زعمهم أن إثبات الصفات للباري تستلزم التجسيم، لأننا لا نشاهد موصفاً بالصفات إلا هذه الأجسام، والله ليس كمثله شيء؛ فتعين نفي الصفات وتعطيلها.

### فَنَّدَ العالمة السعدي شبهة الجهمية بوجوه :

الأول: قد علم ثبوت الصفات المتنوعة لله - تعالى - في الكتاب والسنة بألفاظ كثيرة، وأساليب متنوعة صريحة يكفي بعضها في إفاده العلم اليقيني، فكل شبهة تناقض هذا المعلوم المفهوم؛ فإنها باطلة كائنة ما كانت، بأي لفظ عبر عنها، وبأي أسلوب حرفت.

الثاني: قد علم بالضرورة من الدين ثبوت الصفات وهي أصل الأصول، وأأس الدين، ودلالة الكتاب والسنة عليها أعظم بكثير من دلالتها على الأحكام التي لا ينزع فيها مسلم كالصلوة، والزكاة، والصوم، والحجج، وجميع الأحكام الشرعية، فمن حاول إبطال النصوص الكثيرة الدالة على ثبوت الصفات كان محاولته لإبطال بقية شرائع الدين أهون بكثير، ومن نظر الأمر، وأمعن التأمل جزم أن محاولة هدم السموات والأرض والجبال الشوامخ أسهل من محاولة إبطال نص واحد من هذا الأصل الذي قامت عليه العقائد، والعلوم، والأعمال، والخلق، والأمر.

(١) توضيح الكافية الشافية / ص ٢٨٠ ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي

**الثالث: ويقال في إبطاله أيضاً: إن تصوره وتصور لوازمه، وما يلزم منه من الزور والافتراء، والإلحاد، وتشييد أصول الإلحاد والزندة يكفي العاقل في رده، وإبطاله فضلاً عن الأدلة الأخرى الدالة على بطلانه.<sup>(١)</sup>**

**ثالثاً ، رد العلامة السعدي على قول الجهمية بالجبر :**

غالى الجهمية في باب القضاء والقدر، وأفعال العباد؛ فزعموا أن العبد مجبور على أفعاله، مقسوم مقهور على أقواله، وأفعاله لا قدرة له على شيء من الطاعات، ولا ترك المعاصي. ومع أنه لا قدرة له على ذلك عندهم، فهو مثاب ومعاقب على ما لا قدرة له عليه.<sup>(٢)</sup>

وبين الشيخ السعدي - رحمه الله - السبب الرئيس الذي حمل الجهمية على هذا الانحراف الفاسد فيقول: « فالقول بالجبر فيه فساد الدين والدنيا. والذي حملهم على هذا القول - مع ظهور فساده - ظنهم: أنه لا يمكنهم إثبات عموم مشيئة الله وقدره، حتى يسلبا العبد قدرته ». <sup>(٣)</sup>

وقد تعقب العلامة السعدي انحراف الجهمية في باب القضاء والقدر بالنقد والتفنيد، وردَّه بوجوه عدة:

**الأول: أن هذا القول من أشنع البدع وأنكرها، وهو مخالف للكتاب والسنة، وإجماع الأئمة المحتددين، وللعقول والفطر، ومعخالف للمحسوس.**

**الثاني: نصوص الكتاب والسنة تبطل قولهم؛ فإن الله نسب أعمال العباد إليهم.**

(١) توضيح الكافية الشافية / ص ٣٩٧ ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي

(٢) الدرة البهية / ص ١٥٦ ، وانظر توضيح الكافية الشافية / ص ٢٨١ ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي

(٣) السابق / ص ١٥٧ ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي

من الطاعات المتنوعة، والمعاصي الكثيرة -

كلها يضيفها إلى الفاعلين، ويخبر: أنهم هم الفاعلون له، ويستحقون جزاءها من خير وشر.

فلو كانوا مجبورين عليها: لم ينسبها لهم، ولم يصفها إليهم؛ بل ينسب الأفعال إلى نفسه. حاشاه تعالى عن ذلك. فلا يقال: «الله: الذي فعل الإيمان والكفر، والطاعة والمعصية»؛ بل يقول كل أحد: العبد هو الذي فعلها، والله هو الذي قدرها من غير أن يجبره عليها.

الثالث: ويلزم على قول الجبرية: إسقاط الأمر والنهي؛ لأنه كيف يؤمر، وينهى من لا قدرة له على امتنال الأمر، واجتناب النهي؟!!

الرابع: ويلزم أيضًا على قولهم: إسقاط الحدود عن جميع أهل الجرائم. إذ كيف يعاقبون، وتقام عليهم الحدود وهم غير قادرين، بل مجبرون؟! فهذا القول باطل مخالف لجميع أصول الدين وفروعه.

الخامس: ويلزم أيضًا على قول الجبرية: تعطيل الأسباب الدينية والدنيوية. وذلك أن الله - تعالى - جعل الأسباب موصلة إلى مسبباتها؛ وأمر العباد بسلوك كل سبب نافع لهم في دينهم ودنياهم. فكيف يؤمرؤن: وهم مجبورو ن غير قادرين؟!<sup>(١)</sup>

رابعاً : تكفير العلامة السعدي للجهمية :

وضع العلامة السعدي قاعدة جليلة في الحكم على الجهمية بالتكفير، تقوم على شرطين:

أحدهما: معرفة المبتدع بأن بدعته تناقض ما جاء في الكتاب والسنة.

(١) الدرة البهية / ص ١٥٧ ، توضيح الكافية الشافية / ص ٢٨٢ ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات

الشيخ عبد الرحمن السعدي

الثاني: إصرار المبتدع على بدعته، ونصره لها.

قال العلامة السعدي -رحمه الله- :» كل مبتدع من جهمي، وقدري، وخارجي، ورافضي، ونحوهم عرف أن بدعته مناقضة لما جاء به الكتاب والسنة، ثم أصر عليها ونصرها، فهو كافر بالله العظيم، مشاق لله ورسوله من بعد ما تبين له الهدى.«<sup>(١)</sup>

ولكن بماذا حكم العلامة السعدي -رحمه الله- على الجهمية؟ هل كفراً لهم لنفيهم للصفات، واعتقادهم أن القرآن الكريم مخلوق؟ أم حكم عليهم بالابتداع والضلال؟

يقول العلامة السعدي :» ولهذا كان الخوارج، والمعزلة، والقدرية، ونحوهم من أهل البدع أقساماً متنوعة: منهم من هو كافر بلا ريب كغلاة الجهمية الذين نفوا الأسماء والصفات، وقد عرفوا أن بدعتهم مخالفة لما جاء به الرسول، فهو لاء مكذبون للرسول عالمون بذلك «.<sup>(٢)</sup>

وما ذهب إليه العلامة السعدي -رحمه الله- هو مذهب جمهور أئمة السلف، فقد لقبهم الإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ) بالزنادقة وقال -رحمه الله تعالى- في رده عليهم في مسألة الرؤية : «إِنَّا لَنَرْجُو أَنْ يَكُونَ الْجَهَنَّمُ وَشَيْعَتُهُ مَنْ لَا يَنْتَظِرُونَ إِلَيْ رَبِّهِمْ، وَيَحْجِبُونَ عَنِ اللَّهِ؛ لَأَنَّ اللَّهَ قَالَ لِلْكُفَّارِ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَ يُهْبَطُ لَهُمْ حَمِيمٌ﴾» [سورة المطففين: ١٥]

فإذا كان الكافر يحجب عن الله والمؤمن يحجب عن الله، فما فضل المؤمن على الكافر، والحمد لله الذي لم يجعلنا مثل جهم وشيعته، وجعلنا ممن اتبع ولم

(١) توضيح الكافية الشافية/ ص ٤١٢-٤١٣

(٢) السابق/ ص ٤١٣

## يجعلنا من ابتداع « (١) »

وعقد الدارمي في كتابه « الرد على الجهمية » باباً سماه « باب الاحتجاج في إكفار الجهمية » وقال - رحمه الله - تعالى : « ناظرني رجل بيغداد منافقاً عن هؤلاء الجهمية فقال لي : حجة تكفرون هؤلاء الجهمية، وقد نهى الله عن إكفار أهل القبلة ؟ بكتاب ناطق تكفرونهم، أم بأثر، أم بإجماع ؟ فقلت : ما الجهمية عندنا من أهل القبلة، وما نكفرهم إلا بكتاب مسطور، أو أثر مأثور وكفر مشهور . » (٢)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « والجهمية عند كثير من السلف مثل : عبد الله بن المبارك، ويوسف بن أسباط، وطائفة من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم، ليسوا من الشتين والسبعين فرقة التي افترقت عليها هذه الأمة؛ بل أصول هذه عند هؤلاء هم : الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية، وهذا المأثور عن أحمد، وهو المأثور عن عامة أئمة السنة والحديث؛ أنهم كانوا يقولون : من قال : القرآن مخلوق فهو كافر، ومن قال : إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر ونحو ذلك » . (٣)

تعليق :

وأخيراً لا يفوتنا في تصدي العلامة السعدي أن نسجل ما يلي :  
أولاً: أن ردود العلامة السعدي - رحمه الله - على الجهمية كانت شاملة لكل انحرافاتهم، فلم تقتصر على قولهم بخلق القرآن، ونفيهم للصفات، وقولهم بالجبر؛ بل نقد نفيهم لحكمة الله في خلقه، وأبطل تفسيرهم للإيمان، وكشف زيفهم فيما يتعلق بالمعاد؛ وهذا يدل على خطورة الانحراف العقدي عند الجهمية، وحرص

(١) الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل / ٢٦٤.

(٢) الرد على الجهمية / للدارمي / ١٠٦ .

(٣) مجموع الفتاوى / لابن تيمية / ج ٤٨٦ - ٤٨٧

الشيخ على بيان المذهب الحق في هذه المسائل العقدية المشار إليها.

ثانياً: يظهر من جهود العلامة السعدي في الرد على الجهمية النظر الثاقب، والتحقيق الدقيق في المسائل العلمية، والعمل الدؤوب على قمع البدعة، وبذل الجهد المتواصل في نشر عقيدة التوحيد الخالص، وإظهار ما خفي على كثير من الناس من انحراف الفرق في مسائل العقيدة.

ثالثاً: تميز منهج العلامة السعدي -رحمه الله- في رده على المخالفين بتنوع أساليب الرد والإقناع، فقد استخدم -رحمه الله- أسلوب الاستدلال بلازم كلام الخصم، فأفحم الجهمية بأن دعواهم تلزمهم القول بما لم يعترفون به.<sup>(١)</sup>

---

(١) الحوار أدابه وضوابطه/ ليحيى زمزمي / ص ٥٠٩

## المبحث الرابع : جهود العلامة السعدي في الرد على القدرية

### المطلب الأول: الانحرافات العقدية عند القدرية :

من الانحرافات العقدية ما أحدثه القدرية من القول بنفي القدر، واعتقادهم أن الإنسان صانع أفعاله، وحالقها خيرها وشرها، ولا دخل لقدرة الله فيها.  
ومن ثم فقد أنكروا عموم مشيئة الله وقدره، وجحدوا ما قرره الله في كتابه، وعلى لسان رسوله من شمول قدره لكل شيء؛ فزعموا: أن أفعال العباد خارجة من هذا العموم. <sup>(١)</sup>

والقدرية سُمُّوا بذلك، لأنهم أثبتوا للعبد قدرةً توجّد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى، ونَفَوا أن تكون أفعال العباد بقدر الله وقضائه. <sup>(٢)</sup>

وسُمُّوا بمجوس هذه الأمة لمشايخهم المجوس في مذهبهم، وقولهم بالأصلين - وهو النور والظلمة - فإن المجوس يزعمون أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة فصاروا بذلك ثنوية، وكذلك القدرية لما أضافوا الخير إلى الله، والشر إلى العبيد، أثبتوا قادرین خالقین للأفعال كما أثبت المجوس، فأشبهوه. <sup>(٣)</sup> وهؤلاء القدرية أثبتوا: أن الله خالق للعباد لأعيانهم وأوصافهم؛ ولم يثبتوا أنه خالق لأفعالهم. <sup>(٤)</sup>

وقد ذهب «الأوزاعي» -رحمه الله- (ت: ١٥٧ هـ) إلى أن أول من نطق في

(١) الدرة البهية / للشيخ السعدي / ص ١٥٥

(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول / ابن الأثير / ١٠ / ١٢٨ .

(٣) السابق / ابن الأثير / ١٠ / ١٢٨ .

(٤) الدرة البهية ص ١٨

القدر رجل من أهل العراق كان نصرانيًّا فأسلم ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهنمي (ت: ٨١٠ هـ) وأخذ غilan (ت: ١٠٦ هـ) عن معبد.<sup>(١)</sup>

بينما ذكر «شيخ الاسلام ابن تيمية» -رحمه الله- (ت: ٧٢٨ هـ) أن أول من ابتدع القول ببني القدر رجل من أهل البصرة من أبناء المجروس ، وقد استطاع أن ينفذ إلى قلب معبد الجهنمي الذي أخذ عنه مقالته، وعن معبد تلقاها غilan الدمشقي، وتبعهما عليها واصل بن عطاء (ت: ١٣١ هـ) مؤسس المعتزلة.<sup>(٢)</sup>  
وأوضح شيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه الله- (ت: ٧٢٨ هـ) أن الخائضين في القدر بالباطل ثلاثة أصناف: المكذبون به، والداعون للأمر والنهي به، والطاغعون على رب عز وجل بجمعه بين الأمر والقدر، وهؤلاء شر الطوائف.<sup>(٣)</sup>

ويبيّن «ابن بطة العكبري» (ت: ٣٨٧ هـ) حقيقة هذا الفكر ومستند أصحابه في القول به فيقول : «اعلموا رحمة الله أن القدرية أنكروا اقضاء الله وقدره، وجحدوا علمه ومشيته، وليس لهم فيما ابتدعواه ولا في عظيم ما اقترفوه كتاب يؤمّنه ولانبي يتبعونه، ولا عالم يقتدون به، وإنما يأتون فيما يفتررون بأقوال من أهوائهم مخترعة وفي أنفسهم مبتدعة، فحجتهم داحضة وعليهم غضب ولهم عذاب شديد، يشبهون الله بخلقه، ويضربون الله الأمثال، ويقيمون أحکامهم بآحكامهم ومشيته بمشيتهم». <sup>(٤)</sup>

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة / اللالكاني ج ٤ / ٧٥٠ .

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية / ج ٣٨٤، ٧، ٣٨٤

(٣) منهاج السنة النبوية / ابن تيمية / ج ٣، ص ٨٢

(٤) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة لعكبري / ج ٢ / ١٧٩

## المطلب الثاني: موقف العلامة السعدي من انحرافات القدرية:

قسم العلامة السعدي - رحمه الله - الخائضين في القدر إلى طوائف ثلاثة:  
الأولى: القدرية النفاة.

الثانية: القدرية المجرة.

الثالثة: القدرية المشركين.

ثم قال الشيخ - رحمه الله -: «فكل الطوائف الثلاث: خاضوا في القدر خوضاً منحرفاً، وبعضهم أغفل من بعض. وكلهم عن الصراط ناكبون». <sup>(١)</sup>

وقد بين العلامة السعدي - رحمه الله - حقيقة مذهب القدرية النفاة فقال: «وحقيقة مذهبهم: أنهم يقولون: إن أفعال العباد وطاعاتهم ومعاصيهم، لم تدخل تحت قضاء الله وقدره». فأثبتوا قدرة الله على أعيان المخلوقات وأوصافها؛ ونفوا قدرته على أفعال المكلفين، وقالوا: إن الله لم يردها، ولم يسألها منهم؛ بل: هم الذين أرادوها وشاءوها، وفعلوها استقلالاً بدون مشيئة الله. <sup>(٢)</sup>

ومن ثمَّ فقد حمل الشيخ السعدي - رحمه الله - على عاتقه مهمة الرد على القدرية النفاة، وكشف زيفهم، وبيان ضلالهم، وبعدهم عن الطريق القويم، فقال - رحمه الله -: «ولكنهم بهذا القول ردوا نصوصاً كثيرة من الكتاب والسنة، ثبتت وتصرخ: أن جميع أعمال العباد: من خير وشر، وطاعة ومعصية بقضاء الله وقدره. كما أجمع المسلمون: أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن». <sup>(٣)</sup>  
ومن النصوص التي ردَّها القدرية قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(١) الدرة البهية / للشيخ السعدي / ص ١٦

(٢) السابق / للشيخ السعدي / ص ١٧

(٣) الدرة البهية / للشيخ السعدي / ص ١٨

[البقرة: ٢٠] قال الشيخ السعدي - رحمه الله -: «وفي هذه الآية وما أشبهها، رد على القدرة القائلين بأن أفعالهم غير داخلة في قدرة الله تعالى، لأن أفعالهم من جملة الأشياء الداخلة في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾». (١)

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ يَرَىٰ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَادِنُ اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٠٢] قال العلامة السعدي - رحمه الله -: «وفي هذه الآية وما أشبهها أن الأسباب مهما بلغت في قوة التأثير، فإنها تابعة للقضاء والقدر ليست مستقلة في التأثير ولم يخالف في هذا الأصل من فرق الأمة غير القدرة في أفعال العباد، زعموا أنها مستقلة غير تابعة للمشيئة، فأخرجوها عن قدرة الله، فخالفوا كتاب الله، وسنة رسوله، وإجماع الصحابة، والتابعين». (٢)

قال الشيخ السعدي - رحمه الله -: «ولهذا كان الأئمة كالإمام أحمد، وغيره يقولون: «ناظروا القدرة بالعلم؛ فإن أنكروا العلم كفروا، وإن اعترفوا به خصموا»». (٣)

ثم بين - رحمه الله - أن موقف القدرة من علم الله أحد أمرين : أحدهما: نفي علم الله بأفعال العباد، وبهذا يكون القدرة جاحدين لنصوص الكتاب والسنة المصرحة بإحاطة علم الله، بما كان وما يكون من أعيان وأوصاف وأفعال، مما دق وجل. فمن أنكر ذلك فقد كذب الكتاب والسنة صريحاً؛ وذلك هو الكفر. الثاني: الاعتراف بإحاطة علم الله بكل شيء، وبأفعال العباد قبل وقوعها، وهذا الذي استقر عليه مذهبهم، وبهذا خصموا.

ووجه ذلك أنهم يقولون: «إن أفعالهم لا تتعلق بها مشيئة الله وإرادته؛ وإنما هم مستقلون بها من كل وجه» إذا كان هذا قولهم في مشيئة الله، مع قولهم: «إن الله يعلم

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / للسعدي / ص ٤٤ / طبعة مؤسسة الرسالة

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / للسعدي / ص ٦١ / طبعة مؤسسة الرسالة

(٣) الدرة البهية / للشيخ السعدي / ص ١٥١

أعمال العباد قبل أن يعملوها «؟» فهذا تناقض محض: كيف يعلمها وهو لم يقدرها،  
ولم يردها؟ هذا محال. <sup>(١)</sup>

وبناء على هذا أزلهم العلامة السعدي - رحمه الله - أحد أمرين:  
الأول: إما أن لا يتناقضوا، فينفوا الأمراء - علم الله بأفعالهم، ومشيئته لها -  
فيتضح كفرهم.

الثاني: وإنما أن يرجعوا إلى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة، وأجمع عليه  
المسلمون. وهو: أنه تعالى - كما أنه بكل شيء عليم، وبكل شيء محيط؛ فإنه  
على شيء قادر. ومن جملة الأشياء، أفعال العباد: طاعتهم ومعاصيهم. فهو تعالى  
يعلمها إجمالاً وتفصيلاً قبل أن يعملوها.

وأعمالهم وأفعالهم داخلة تحت مشيئة الله وإرادته: فقد شاءها منهم وأرادها؛  
ولم يجرهم لا على الطاعات، ولا على المعاصي؛ بل هم الذين فعلوها باختيارهم.  
كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَشَأْ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمُ﴾ <sup>(٢)</sup> وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾  
[التكوير: ٢٩-٣٠] <sup>(٣)</sup>

وقد أبطل العلامة السعدي قول القدرية: إن مشيئته العباد مستقلة، ليست تابعة  
لمشيئته الله بوجهين:

الأول: قوله تعالى ﴿وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ فقد أخبر الله تعالى أن  
مشيئتهم تابعة لمشيئته الله، وأنها لا توجد بدونها. فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

الثاني: أن الآية دلت على الحق الواضح، وهو: أن العباد هم الذين يعملون  
الطاعات والمعاصي حقيقة، ليسوا مجبورين عليها؛ وأنها تابعة لمشيئته الله تعالى.. <sup>(٤)</sup>

(١) السابق / للشيخ السعدي / ص ١٥١

(٢) الدرة البهية / للشيخ السعدي / ص ١٥٤

(٣) الدرة البهية / للشيخ السعدي / ص ١٥٤ ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي

تعليق:

وأخيراً يمكن أن نسجل على جهود العلامة السعدي - رحمه الله - في الرد على القدرية ما يلي :

أولاً: أوضح الشيخ السعدي - رحمه الله - أن سبب انحراف القدرية في باب القدر المقصود منه دفع الحق، فهم يرون أن الحق بمنزلة الصائل يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم من الكلام وإن كانوا يعتقدونه خطأ.

ثانياً: وقد قوبلت القدرية بجميع طوائفها بالرد على أباطيلها من قبل علماء السنة ابتداء من عهد الصحابة الذين أدركوا نشأتهم مثل عبدالله بن عمر، وابن عباس ومن بعدهم من الأئمة .

وقد صاح الصحابة بأصحاب هذا الفكر المنحرف من كل ناحية، وأنكروا عليهم ماجاؤوا به من الضلال والباطل، ونهوا الناس عن مخالطة هؤلاء ومجاالتهم وأوردوا عليهم النصوص الفاضحة لباطلهم، المقررة للحق في باب القدر<sup>(١)</sup>

ثالثاً: أوضح العلامة السعدي - رحمه الله - موقف السلف ومنهجهم في مسألة القدر، فقال : « وهدى الله أهل السنة والجماعة، لما اختلفوا فيه بإذنه ﷺ والله يهدي من يشاء إِنَّ حِزْرَطَ مُسَتَّعِيمَ [البقرة: ٢١٣] فأثبتوا عموم قضاء الله، ونفوذ مشيته في كل شيء . وأثبتوا - مع ذلك - أفعال العباد من الطاعات والمعاصي، وقالوا إنها واقعة باختيارهم ».<sup>(٢)</sup>

ولا يخفى أن منهج السلف في مسألة القدر كان يقوم على كراهية الخوض في القدر بلا علم، والنهي عن خصومة أهله، وموادعتهم القول، والاتباع في ذلك السنة وأثار المصطفى صلى الله عليه وسلم .

(١) القضاء والقدر / د دعمرا الأشقر / ص ٥٥

(٢) الدرة البهية / للشيخ السعدي / ص ١٥٧

## المبحث الخامس : جهود العلامة السعدي في الرد على الخوارج

### المطلب الأول : انحراف الخوارج في الحكم على مرتكب الكبيرة

تعد مسألة مرتكب الكبيرة من المسائل العظيمة التي نشأ النزاع فيها بين المسلمين منذ وقت مبكر من تاريخ هذه الأمة، بل عدّ العلماء بدعة التكفير بالذنوب أول البدع ظهوراً في الأمة.<sup>(١)</sup>

وقد انحرف الخوارج في هذه المسألة لسوء فهمهم للقرآن فكفروا مرتكب الكبيرة، وأخرجوه من الدين بالكلية، وأوجبوا له الخلود في النار.

وقد نقل الأشعري (ت : ٣٣٠ هـ) إجماع الخوارج على أنّ مرتكب الكبيرة كافر، إلا النجدات<sup>(٢)</sup> منهم فإنها لا تقول بذلك . قال الأشعري : «وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النجدات؛ فإنها لا تقول ذلك». <sup>(٣)</sup>

ولم يكتف الخوارج بإطلاق لفظ الكفر في الدنيا على مرتكب الكبيرة بل أجرى الخوارج أحكام الكفار على أهل المعاصي في الدنيا ومنها :

١ - استحلوا دماء وأموال أهل القبلة من أهل الكبائر، لاعتقادهم كفرهم، يقول ابن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ) : «وما زالت الخوارج تخرج على الأمراء، ولهم مذاهب مختلفة، وكان أصحاب نافع بن الأزرق يقولون: نحن مشركون ما دمنا في

(١) مجموع الفتاوى / لابن تيمية / ج ١٣ / ص ٣١٣٠

(٢) أتباع نجدة بن عامر الحنفي قتلوا أصحابه في سنة ٦٩ هـ انفردوا عن سائر الخوارج بآراء، فأكفروا من قال بإكفار القعدة منهم ، وأكفروا من قال بإمامنة نافع بن الأزرق، وأقاموا على إمامنة نجدة إلى أن اختلفوا عليه وصاروا عليه ثلث فرق . الفرق بين الفرق، ٨٢، التبصير في الدين ٥٢

(٣) مقالات الإسلاميين / للأشعري / ١ / ١٦٨

دار الشرك، فإذا خرجنا فنحن مسلمون، قالوا: ومخالفونا في المذهب مشركون، ومرتكبو الكبائر مشركون، والقاعدون عن موافقتنا في القتال كفرا. وأباح هؤلاء قتل النساء والصبيان من المسلمين، وحكموا عليهم بالشرك». <sup>(١)</sup>

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨) : «وهم أول من كفر أهل القبلة بالذنوب، بل بما يرون هم من الذنوب، واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك، فكانوا كما نعتهم النبي ﷺ يقولون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان». <sup>(٢)</sup>

٢- حكموا على أهل الكبائر من أهل القبلة أنهم لا يرثون ولا يورثون .

٣- حكموا أيضاً عليهم أنهم لا يدفنون في مقابر المسلمين .

وبناء على حكمهم على أهل الكبائر في الدنيا بالكفر، زعموا أن حكمهم في الآخرة هو الخلود الدائم في النار، وأن الله لا يغفر لهم شيئاً من ذنوبهم إن لم يتوبوا منها في الحياة الدنيا. وذكر الأشعري إجماعهم على ذلك فقال : «وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذّب أصحاب الكبائر عذاباً دائمًا إلا النجدات». <sup>(٣)</sup>

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والخوارج والمعزلة يقولون: إنَّ صاحب الكبيرة يخلُد في النار، ثم إنَّهم قد يتوهمن في بعض الأختيار أنه من أهل الكبائر كما توهם الخوارج في عثمان، وعلى، وأتباعهما أنَّهم مخلدون في النار». <sup>(٤)</sup>

وقد استشهد الخوارج في هذا المقام ببعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى **﴿فِيهِ مَا يَكُتُبْ بِئْتُ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلَهُ عَلَى النَّاسِ جُنُحُ الْبَيْتِ مَنْ أَسْطَاعَ إِلَيْهِ﴾**

(١) تلبيس إيليس / لابن الجوزي / ٩٣ .

(٢) مجموع الفتاوى / لابن تيمية / ٤٨١، ٤٨٢ / ٧

(٣) مقالات الإسلاميين / للأشعري / ١٦ / ١

(٤) مجموع الفتاوى / لابن تيمية / ٤٧٥، ٤٧٦ / ٤

سِيَّلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ [سورة آل عمران : ٩٧] وقالوا إن الله وصف تارك الحج بالكفر، وترك الحج ذنب، فإن كل من مرتكب للذنب كافر.<sup>(١)</sup>  
 واستشهدوا أيضا بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبَيَّنُونَ وُجُوهُ وَسُوْدُ وُجُوهٍ فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُووُ الْعَذَابِ إِمَّا كُنُتمْ تَكْفُرُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ [سورة آل عمران : ٦٦] وقالوا: إن الفاسق لا يجوز أن يكون ممن ابىضت وجوههم فوجب أن يكون ممن اسودت وجوههم ووجب من ثم أن يسمى كافرا.<sup>(٢)</sup>  
 وأيضا قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّشَيْرَةٌ﴾ ﴿٢١﴾ ضامكةً مشتيرةً ﴿٢٢﴾ ووجوه يومئذ علىتها غرة<sup>(٣)</sup> [سورة عبس : ٤٢ - ٣٨] قالوا: والفاسق على وجهه غرة فوجب أن يكون من الكفرا.<sup>(٤)</sup>

ويظهر من استشهادهم بهذه الآيات تمسكهم بظواهر النصوص ومحاولتهم فهمها من غير اعتبار لأمرتين :

- ١- الآيات الأخرى التي تصف مرتكب الكبيرة بأنه مؤمن .
- ٢- ومن غير اعتبار لعمل الرسول ﷺ وسته التي تبين القرآن وتفسره .

## المطلب الثاني : موقف العلامة السعدي من انحرافات الخوارج:

رد العلامة السعدي انحراف الخوارج الغريب على البيئة الإسلامية ببيان الرأي الصحيح في مسألة حكم مرتكب الكبيرة، وتقرير مذهب أهل السنة والجماعة فيها، فقال -رحمه الله- : «الأصل أن كبائر الذنوب وصغرها لا تصل ب أصحابها إلى

(١) التفسير والمفسرون / محمد حسين الذهبي / ٢٢٦ .

(٢) السابق / محمد حسين الذهبي / ٢٢٦

(٣) التفسير والمفسرون / د محمد حسين الذهبي ٢٢٦

الكفر، ولكنها تنقص الإيمان من غير أن تخرجه من دائرة الإسلام، ولا يخلد صاحبها في النار، ولا يطلقون عليه اسم الكفر، كما تقوله الخوارج، أو ينفون عنه الإيمان كما تقوله المعتزلة؛ بل يقولون: مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، فممعه مطلق الإيمان، أما الإيمان المطلق فينفي عنه.»<sup>(١)</sup>

ويتضح موقف الشيخ السعدي من الانحرافات العقدية للخوارج مما يلي :

**أولاً :** رد العلامة السعدي على انحراف الخوارج بتكفيرهم صاحب المعصية :  
تعد الخوارج أول فرقة أطلقت عنان التكفير بمطلق المعاشي والكبائر، وقد أبطل الشيخ السعدي هذا الانحراف العقدي فقال في قوله تعالى ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة: ١٧٨] : وفي قوله: «أَخِيهِ» دليل على أن القاتل لا يكفر، لأن المراد بالأخوة هنا أخوة الإيمان، فلم يخرج بالقتل منها، ومن باب أولى أن سائر المعاشي التي هي دون الكفر، لا يكفر بها فاعلها، وإنما ينقص بذلك إيمانه.»<sup>(٢)</sup>

ونص الشيخ السعدي - رحمه الله - على أن كبار الذنب . ما عدا الشرك . لا تذهب الإيمان فقال: «إن الاقتال بين المؤمنين مناف للأخوة الإيمانية، ولهذا، كان من أكبر الكبائر، وأن الإيمان، والأخوة الإيمانية، لا تزول مع وجود القاتل كغيره من الذنوب الكبار، التي دون الشرك، وعلى ذلك مذهب أهل السنة والجماعة.»<sup>(٣)</sup>

**ثانياً :** رد العلامة السعدي على انحراف الخوارج ببيان أن حجتهم حجة عليهم لا لهم :

وقد بين العلامة السعدي أن كل ما يحتج به الخوارج من آيات، أو أحاديث

(١) الفتاوى السعدية / للسعدي / ص ١٣

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / للسعدي / ص ٨٤

(٣) السابق / للسعدي / ص ٨٠٠

صحيحة على قوله لهم الباطل لا بد أن يكون فيها حجة عليهم لا لهم. فقال في قوله تعالى: ﴿أَوْلَئِكَ أَصْحَبُ الْجَنَّةَ هُمْ فِيهَا حَلِيلُونَ﴾ [البقرة: ٨٢] قد احتاج بها الخوارج على كفر صاحب المعصية، وهي حجة عليهم كما ترى، فإنها ظاهرة في الشرك، وهكذا كل مبطل يحتاج بآية، أو حديث صحيح على قوله الباطل فلا بد أن يكون فيما احتاج به حجة عليه. <sup>(١)</sup>

وساق العلامة السعدي ما احتاج به الخوارج لنصرة انحرافهم العقدي مبيناً سقم فهمهم، وعطب تفكيرهم وما ترتب عليه من خلل فكري حتى صارت أدلةهم حجة عليهم لا لهم، ومن هذه الأدلة:

أولاً: قوله ﴿وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخَلُهُ نَارًا حَنِيلَةً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِيَّبٌ﴾ [النساء: ١٤] قال العلامة السعدي -رحمه الله-: «فلا يكون فيها شبهة للخوارج القائلين بكفر أهل المعاشي فإن الله تعالى رتب دخول الجنة على طاعته وطاعة رسوله. ورتب دخول النار على معصيته ومعصية رسوله، فمن أطاعه طاعة تامة دخل الجنة بلا عذاب. ومن عصى الله ورسوله معصية تامة يدخل فيها الشرك فما دونه، دخل النار وخلد فيها، ومن اجتمع فيه معصية وطاعة، كان فيه من موجب الثواب والعقاب بحسب ما فيه من الطاعة والمعصية».

وقد دلت النصوص المتواترة على أن الموحدين الذين معهم طاعة التوحيد، غير مخلدين في النار، فما معهم من التوحيد مانع لهم من الخلود فيها». <sup>(٢)</sup>

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا حَلِيلُونَ﴾

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / للسعدي / ص ٥٧

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / للسعدي / ص ١٧٠

[البقرة: ٢٧٥] قال العلامة السعدي: «في هذا أن الربا موجب لدخول النار والخلود فيها، وذلك لشناعته، ما لم يمنع من الخلود مانع الإيمان. وهذا من جملة الأحكام التي تتوقف على وجود شروطها، وانتفاء موانعها، وليس فيها حجة للخوارج، كغيرها من آيات الوعيد. فالواجب أن تصدق جميع نصوص الكتاب والسنة، فيؤمن العبد بما تواترت به النصوص، من خروج من في قلبه أدنى مثقال حبة خردل الإيمان من النار». <sup>(١)</sup>

تعليق:

وأخيراً باستقراء جهود العلامة السعدي - رحمه الله - في الرد على الخوارج  
نسجل هذه النقاط :

الأولى: يلاحظ مدى براعة العلامة السعدي في استخدام الحالة المناسبة من أحوال الجدل في رده على انحراف الخوارج في مسألة مرتكب الكبيرة، فقد أقام الدليل على خلاف ما أقام الخصم عليه الدليل، وهذا إبطال لمذهب المستدل بعين دليله.

الثانية: استخدام البرهان العقلي والاستنتاج المنطقي في رد دعوى الخصم، فقد أبطل العلامة السعدي انحراف الخوارج في مسألة حكم مرتكب الكبيرة مستندًا على الحجة والبرهان العقلي ، فقال: في قوله تعالى ﴿أُعِدَّتْ لِكُفَّارِنَ﴾ [البقرة: ٢٤] وفيها أيضاً، أن الموحدين وإن ارتكبوا بعض الكبائر لا يخلدون في النار، لأنه قال: «أُعِدَّ لِكَافِرِنَ» فلو كان عصاة الموحدين يخلدون فيها، لم تكن معدة للكافرين وحدهم، خلافاً للخوارج والمعتزلة. <sup>(٢)</sup>

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / للسعدي / ص ١٧٠

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / للسعدي / ص ٤٥

الثالثة : أن جهود العلامة السعدي في الرد على الخوارج وغيرهم من ذوي الأفكار الضالة من باب الامثال لتعاليم الإسلام؛ إذ أن القرآن الكريم قد اشتمل على كثير من النصوص القرآنية التي توجه المسلمين لأهمية الجدال والحوار في الدعوة للإسلام وكشف زيف الباطل ، مع التركيز على خلو الحوارات والمناظرات من المرأة والمغالطة واللذوذ في الخصومة ، والمكابرة والعناد ، وهذا كله اشتمل عليه قوله تعالى : ﴿أَدْعُ إِنَّ سَيِّلَ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنٌ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَمَّدِينَ﴾ [١٥]

[النحل : ١٢٥]

## الخاتمة

يمكن إبراز أهم ما توصل إليه البحث من نتائج فيما يلي :

- ١- التزام العلامة السعدي - رحمه الله - بالموضوعية واتصافه بالعدل والرحمة في ردوده على الفرق المنحرفة في العقيدة.
- ٢- شمولية منهج الشيخ السعدي - رحمه الله - في العقيدة؛ إذ أن ردوده جاءت شاملة لكل من خالف عقيدة التوحيد، ولم تكن قاصرة على فرقه بعينها أو طائفية خاصة.
- ٣- إحاطة الشيخ السعدي - رحمه الله - بالتحديات التي تواجه العصر والتحذير منها، وبيان مدى انحرافها عن الصراط المستقيم، والمنهج القويم.
- ٤- يظهر من جهود العلامة السعدي في الرد على الجهمية النظر الثاقب، والتحقيق الدقيق في المسائل العلمية، والعمل الدؤوب على قمع البدعة، وبذل الجهد المتواصل في نشر عقيدة التوحيد الخالص، وإظهار ما خفي على كثير من الناس من انحراف الفرق في مسائل العقيدة.
- ٥- تميز منهج العلامة السعدي - رحمه الله - في ردوده على المخالفين بتنوع أساليب الرد والإقناع، فقد استخدم - رحمه الله - أسلوب الاستدلال بلازم كلام الخصم، فأفحم الجهمية بأن دعواهم تلزمهم القول بما لم يعترفوا به.
- ٦- يلاحظ مدى براعة العلامة السعدي في استخدام الحالة المناسبة من أحوال الجدل في رده على انحراف الخوارج في مسألة مرتكب الكبيرة، فقد أقام الدليل على خلاف ما أقام الخصم عليه الدليل، وهذا إبطال لمذهب المستدل بعين دليله.
- ٧- أن جهود العلامة السعدي في الرد على الخوارج وغيرهم من ذوي الأفكار

الضالة من باب الامثال لتعاليم الإسلام؛ إذ أن القرآن الكريم قد اشتمل على  
كثير من النصوص القرآنية التي توجه المسلمين لأهمية الجدال والحوار في  
الدعوة للإسلام وكشف زيف الباطل.

#### التوصيات :

- ١— إفراد مقرر دراسي بالجامعات والمدارس عن العلامة السعدي ودوره العلمي، وجهوده الفكرية، وأثره في النهضة العلمية بالمملكة العربية السعودية.
- ٢— عقد دورات وورش عمل للمعلمين بمراحل التعليم المختلفة عن منهج العلامة السعدي العلمي والتربوي، وكيفية الاستفادة منها في إعداد النشء، وتأهيله التأهيل التربوي السليم الذي يجعله لبنة بناء في المجتمع.

## المصادر والمراجع

- ١- الإبانة عن شريعة الفرقـة الناجـية / ابن بـطة العـکـبـي / تـحـقـيق دـعـمـان عـبـدـالـهـ الأـئـوـبـيـ / طـ٢ـ٢ـ / دـارـ الـرـاـيـةـ / ١٤١٥ـ هـ .
- ٢- الإبطـالـ لـنظـرـيـهـ المـخـلـطـ بـيـنـ دـيـنـ الـإـسـلـامـ وـغـيـرـهـ مـنـ الـأـدـيـانـ / بـكـرـ بـنـ عـبـدـالـهـ أـبـوـزـيدـ / طـ٤ـ / وزـارـةـ الشـئـونـ إـسـلـامـيـةـ وـالأـوقـافـ وـالـدـعـوـةـ وـالـإـرشـادـ - المـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ السـعـودـيـةـ / ٢٠١١ـ مـ .
- ٣- الإـلـحـادـ / عـبـدـالـرـحـمـنـ عـبـدـالـخـالـقـ / طـ٢ـ / الرـئـاسـةـ الـعـامـةـ لـإـدـارـاتـ الـبـحـوثـ الـعـلـمـيـةـ وـالـإـفـاءـ وـالـدـعـوـةـ وـالـإـرـشـادـ / الـرـيـاضـ / ١٤٠٤ـ هـ .
- ٤- الـأـدـلـةـ الـقـوـاطـعـ وـالـبـرـاهـيـنـ فـيـ إـيـطـالـ أـصـوـلـ الـمـلـحـدـيـنـ / الشـیـخـ عـبـدـالـرـحـمـنـ السـعـدـیـ / مـکـتبـةـ الـمـعـارـفـ - الـرـيـاضـ / ١٩٨٢ـ مـ .
- ٥- اـنـتـصـارـ الـحـقـ / الشـیـخـ عـبـدـالـرـحـمـنـ السـعـدـیـ / الطـبـعـةـ الـأـولـىـ / مـکـتبـةـ أـصـوـاءـ السـلـفـ / ١٩٩٨ـ مـ .
- ٦- التـجـدـيـدـ فـيـ الـفـكـرـ إـسـلـامـيـ / عـدـنـانـ مـحـمـدـ أـمـامـةـ / الطـبـعـةـ الـأـولـىـ / دـارـ اـبـنـ الـجـوزـيـ / ١٤٢٤ـ هـ .
- ٧- التـطـوـرـ رـوـحـ الشـرـيـعـةـ إـسـلـامـيـةـ / مـحـمـودـ الشـرـقاـويـ / المـکـتبـةـ الـعـصـرـيـةـ / ١٩٦٩ـ مـ .
- ٨- تـلـبـیـسـ إـبـلـیـسـ / اـبـنـ الـجـوزـيـ / طـبـعـةـ أـولـىـ / بـیـرـوـتـ / دـارـ الـفـلـمـ / بـیـرـوـتـ / ١٤٠٣ـ هـ .
- ٩- التـنبـیـهـ وـالـرـدـ عـلـیـ أـهـلـ الـأـهـوـاءـ وـالـبـدـعـ / الـمـلـطـیـ / تـحـقـيقـ دـمـحـمـدـ زـيـنـهـمـ عـزـبـ / طـ١ـ / القـاهـرـةـ / مـکـتبـةـ مـدـبـولـیـ / ١٤١٣ـ هـ .
- ١٠- تـنـزـیـهـ الـدـینـ وـحـمـلـتـهـ وـرـجـالـهـ مـاـ اـفـرـاهـ الـقـصـیـمـیـ فـیـ أـغـلـاـکـهـ / الشـیـخـ عـبـدـالـرـحـمـنـ السـعـدـیـ / طـ٢ـ / دـارـ اـبـنـ الـجـوزـيـ / ١٤٢٧ـ هـ .
- ١١- توـضـیـعـ الـکـافـیـ الشـافـیـ / الشـیـخـ عـبـدـالـرـحـمـنـ السـعـدـیـ / الطـبـعـةـ الـأـولـىـ / مـکـتبـةـ أـصـوـاءـ السـلـفـ / ٢٠٠٠ـ مـ .
- ١٢- تـیـارـاتـ الـیـقـظـةـ إـسـلـامـیـةـ / مـحـمـدـ عـمـارـةـ / الطـبـعـةـ الـأـولـىـ / مؤـسـسـةـ دـارـ الـهـلـالـ / دـتـ .

- ١٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / للسعدي / تحقيق عبد الرحمن بن معاذا الويحق / ط١ / طبعة مؤسسة الرسالة / ٢٠٠٠ م
- ١٤- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن / الشيخ عبد الرحمن السعدي / وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- ١٥- جامع الأصول في أحاديث الرسول / ابن الأثير / تحقيق عبد القادر الأرنوط / مكتبة دار البيان / ١٣٩٧ هـ
- ١٦- جهاد الأعداء ووجوب التعاون بين المسلمين / الشيخ عبد الرحمن السعدي / دار ابن القيم للنشر والتوزيع / ١٩٩١ م
- ١٧- جهود علماء الدعوة السلفية بنجد تجاه النوازل العقدية / د. عبد العزيز محمد آل عبد اللطيف / مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وأدابها ج ١٨، ع ٣٧، جماد الثاني ١٤٢٧ هـ.
- ١٨- الحوار آدابه وضوابطه / ليحيى زرمي / الطبعة الأولى / دار التربية للتراث / ١٩٩٤ م
- ١٩- حوار هادي مع محمد الغزالى / سلمان فهد العودة / الطبعة الأولى / ١٤٠٩ هـ
- ٢٠- درء تعارض العقل والنقل / ابن تيمية أبو العباس نقى الدين أحمد بن عبد الحليم / تحقيق د محمد رشاد سالم / ط٢ / الرياض / طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / ١٤١١ هـ
- ٢١- الدرة البهية / الشيخ عبد الرحمن السعدي / الطبعة الأولى / مكتبة أصوات السلف / ١٩٩٨ م
- ٢٢- دعوة التقريب بين الأديان / أحمد عثمان القاضي / دار ابن الجوزي / د. ت
- ٢٣- الرد على الجهمية / الدارمي / تحقيق زهير الشاويش / ط٤ / بيروت / المكتب الإسلامي / ١٩٨٢ م
- ٢٤- الرد على الزنادقة / ضمن مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي / الطبعة الأولى / وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية / ٢٠١١ م

- ٢٥- الرد على الزنادقة والجهمية / إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن محمد بن حنبل / تحقيق دغش بن شبيب العجمي / طبعة أولى / الكويت / دار غراس / ١٤٢٦ هـ
- ٢٦- الرد القوي على ملحد القصيم / عبدالله بن علي بن يابس / الطبعة الأولى / مطبعة الإمام - مصر / ١٩٤٧ م
- ٢٧- الرياض الناصرة والحداثة الظاهرة في العقيدة / الشيخ عبدالرحمن السعدي / الطبعة الأولى / المكتبة العصرية / ٢٠٠٥ م
- ٢٨- شرح أصول اعتقاد أهل السنة / للالكائي هبة الله بن الحسن بن منصور الطبرى / تحقيق دأحمد بن سعد الغامدي / ط ٢ / الرياض / دار طيبة للنشر والتوزيع / ١٤١١ هـ.
- ٢٩- الشيخ عبدالرحمن السعدي وجهوده في العقيدة / عبدالرزاق البدر / ط ٢ / مكتبة الرشد / ١٩٩٣ م
- ٣٠- العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب / محمد حامد الناصر / ط ٢ / مكتبة الكوثر، الرياض / ٢٠٠١ م
- ٣١- الفتاوى السعودية / الشيخ عبدالرحمن السعدي / ط ٢ / مكتبة المعارف - الرياض / ١٩٨٢ م
- ٣٢- فتنة الدجال / الشيخ عبدالرحمن السعدي / تحقيق أحمد القاضي / ط ٢ / دار ابن الجوزي / ٢٠٠٦ م
- ٣٣- فرق معاصرة / غالب بن علي عواجي / ط ٤ / جدة / المكتبة العصرية الذهبية / ١٤٢٢ هـ
- ٣٢- القضاء والقدر / عمر الأشقر / ط ١٣ / عمان - الأردن / دار النفائس / ١٤٢٥ هـ
- ٣٣- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي / الندوة العالمية للشباب الإسلامي / ط ٤ / دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع / ١٤٢٠ هـ.
- ٣٤- المجددون / أمين الخولي / الهيئة المصرية العامة للكتاب / د. ت

- ٣٥- مجموعة الرسائل والمسائل / ابن تيمية / لجنة التراث العربي / د.ت
- ٣٦- مجموع الفتاوى / ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم / جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد القاسم / د ط / المدينة المنورة / طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف / ١٤٢٥ هـ
- ٣٧- المذاهب الفكرية المعاصرة / غالب عواجي / طبعة أولى / المكتبة العصرية / جدة / ٢٠٠٦ م
- ٣٨- المعتزلة بين القديم وال الحديث / محمد العبدة، وطارق عبد الحليم / الطبعة الأولى / دار الأرقام / ١٩٨٧ م
- ٣٩- مقالات الإسلاميين / الأشعري / تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد / د ط / بيروت / المكتبة العصرية / ١٩٩١ م
- ٤٠- منهاج السنة النبوية / ابن تيمية / تحقيق محمد رشاد سالم / طبعة أولى / القاهرة / مؤسسة قرطبة / ١٤٠٦ هـ
- ٤١- هذى هي الأغلال / القصيمي / القاهرة / مطبعة مصر / ١٩٤٦ م
- ٤٢- وجوب التعاون بين المسلمين / ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن السعدي / مركز صالح بن صالح / عنزة / ١٩٩٠ م